

حراء

السنة السابعة عشرة / (يناير - فبراير) ٢٠٢٢

مجلة علمية ثقافية أدبية
www.hiragate.com

دورية تصدر كل شهرين

88

Hira Magazine | Knowledge - Cultural - Literary | January - February 2022

مظهر وجوهر

تأمل في مظاهرهم ستلقى
كأنّ الريح تمنحهم حناناً
ولكن لو نظرت بعين حقّ
حوارا من ندى الأزهار أنقى
يهيئ شعورهم ليكون أرقى
ستدرك أنهم في البؤس غرقى

لماذا التثاؤب يُعدي؟
د. محمد السقا عيد

0٤

التسامح دعوة إلهية
د. عبد الكريم بناني

١٠

ساعات الإصغاء إلى أرواحنا
فتح الله كولن

٣

الموائد السماوية

الطبيعية" فيضع "نبيل سليم" بين أيدينا مقالاً يسلط فيه الضوء على الأبحاث العلمية التي أجراها العلماء حول هذا العضو، مشيراً إلى أن الزائدة الدودية أنقذت حياة أناس كثيرين بما تختزنه من احتياطي حيوي من البكتيريا اللازمة لمكافحة الكوليرا.

ويقول "سعيد سهمي" في مقاله الموسوم بـ"رهان التنمية في العصر الرقمي": "الرقمية جسر تواصل، ومن ثم لا بد من استثمارها باعتبارها رافداً لنشر ثقافة التسامح والاختلاف في المجتمع العربي، كما أننا بحاجة اليوم إلى التخلص من ضيق الفكر ومن ضيق التفكير. كما أن توجيه وعقلنة استثمار الرقمية يبقى أساسياً للوصول للأهداف المرجوة".

أما "هبة مهران" فتتناول موضوعاً غاية في الأهمية متعلّقاً بواقعنا الراهن، حيث تقول في مقالها "السكريات تدخل جداول المخدرات": "إن السكر يقوم بتحفيز مناطق إفراز الدوبامين لدينا، مما يجعل منطقة المكافأة في الدماغ تعمل بنفس الطريقة التي تعمل بها عند تعاطي الإنسان للكحول أو النيكوتين أو المخدرات".

ما هو التثاؤب؟ ولماذا يتثأب الإنسان؟ وهل التثاؤب مفيد أم مضر؟ و"لماذا التثاؤب يُعدي؟" هذه الأسئلة وغيرها يحاول "محمد السقا عيد" الإجابة عنها من خلال أبحاث ودراسات علمية أجراها العلماء في العالم.

هذا إلى جانب المقالات التي أسهمت في تشكيل الإطار العام لهذا العدد من حراء. والله من وراء القصد. ■

إن الإنسان في حاجة ماسة كل عام إلى فترة يزكّي فيها نفسه ويربّي روحه ويصفّي قلبه.. ولا شك أن الأشهر الثلاثة المباركة من أكبر الوسائل لتحقيق هذه الحاجة. ولكن "إن لم يبدأ الإنسان هذه الأشهر بشدّ معنوي قوي، ولم ينذر نفسه للعبادة استشعاراً لحقّ العبودية، ولم يفرغ نفسه تماماً لهذا الأمر، فلن يمكنه استشعار ما في هذه الأوقات المباركة وإن انهمرت عليه ألطافها بجزارة".
بهذه العبارات يستهل الأستاذ "فتح الله كولن" مقاله لهذا العدد من حراء، ويدعونا إلى الإصغاء إلى أرواحنا، ويطلب منا استشعار الفيوضات التي تغمرنا من رأسنا إلى أخمص أقدامنا في هذه الفترة الزمنية المباركة التي تغرق فيها السماوات في لجة الأنوار، وتزدان الأرض بالموائد السماوية.

ومرة أخرى يتحفنا "ناصر أحمد سنه" كما عودنا، بمقال علمي ممتع عن ظاهرة "النوموفوبيا"، التي تؤدي إلى الشعور بالخوف والقلق الشديد بمجرد التفكير بفقدان الهاتف المحمول، وعدم القدرة على استعماله، أو انتهاء طاقة شحنه، أو التواجد خارج تغطية شبكة الاتصالات.. محاولاً الإجابة على "هل النوموفوبيا مرض أم لا؟" وعن التسامح وحاجة المجتمعات الإنسانية إليه يشير "عبد الكريم بناني" إلى أن "من المقاصد السامية التي يوجدها التسامح الفكري والديني والمجتمعي بين الناس، إنشاء آفاق واعدة للحوار والنقاش البناء والمثمر، يسود فيه الخطاب الإيجابي المبني على قواعد سليمة وهادفة".
أما عن "لغز الزائدة الدودية ودعمها للمناعة



٢	ساعات الإصغاء إلى أرواحنا.. الأشهر الثلاثة / فتح الله كولن (المقال الرئيس)
٦	النوم فويبا.. المشكلة وعلاجها / د. ناصر أحمد سنه (علوم)
١٠	التسامح دعوة إلهية تحتاجها المجتمعات الإنسانية / د. عبد الكريم بناني (قضايا فكرية)
١٤	أدب الأوبئة عبر الأزمنة / أمير شفيق حسانين (تاريخ وحضارة)
١٨	بين الإنسان والإنسال / أ.د. إيمان مسعود (علوم)
٢٢	مرض السل بين الأخطل الصغير وصاحب نوبل / د. عواطف كركيش (علوم)
٢٦	لغز الزائدة الدودية ودعمها للمناعة الطبيعية / أ.د. نبيل سليم (علوم)
٣٠	مفتاح السعادة / محمود مصطفى حلمي (أدب)
٣٢	دمائة الخلق / فتح الله كولن (قطوف)
٣٤	رهان التنمية في العصر الرقمي / سعيد سهيمي (قضايا فكرية)
٣٨	السكريات تدخل جداول المخدرات / د. هبة مهران (علوم)
٤٢	نماذج من التراث في الاستفادة من النفايات / د. عادل عبد الرشيد (تاريخ وحضارة)
٤٦	نسب النبي والتطلع الخديجي إلى الصّديقية / د. محمد بنيعيش (قضايا فكرية)
٥٠	البعد الفلسفي للتعايش ودوره في التعدد الثقافي / سعيد بوعبيطة (قضايا فكرية)
٥٤	لماذا التثاؤب يُعدي؟ / د. محمد السقا عيد (علوم)
٥٨	كيف نقش عالم أطفالنا؟ / سليمان أحمد شيخ سليمان (تربية)
٦٢	وكّبا الذي قد غرُّ بالأفراح / د. محمد محمد عيسى (شعر)
٦٣	عيون السحلية نظام بصري متعدد البؤر / نور الدين صواش (محطات علمية)



ساعات الإصغاء إلى أرواحنا الأشهر الثلاثة

إن الأشهر الثلاثة هي أعظم الأوقات المباركة؛ ففيها قد يصبح المرء أقرب إلى الله تعالى، ويغدو أهلاً لأن يتغمده الله بواسع رحمته، فينسلخ من ذنوبه ويسيح في أفق القلب والروح.



والحق أن المرء في حاجة دائمة كل عام إلى فترة نقاهة سماوية، يزكي فيها نفسه ويربي روحه ويصفي قلبه، وهذه الأشهر المباركة من أكبر الوسائل لتحقيق هذا.

ولا جرم أن التخلّص من الأعباء الجسمية والنفسية في هذه الأوقات

إن لم يبدأ الإنسان هذه الأشهر بشدّ معنوي قوي، ولم يندّر نفسه للعبادة استشعاراً لحقّ العبودية، ولم يفرغ نفسه تماماً لهذا الأمر، فلن يمكنه استشعار ما في هذه الأوقات المباركة وإن انهمرت عليه أظافها بغزارة.

حراه

المباركة، والارتقاء إلى أفقٍ معين، والوصول إلى مستوى معين، يتطلب بدايةً إجراء عملية خطيرة من التفكير والتذكر. ولا بد عند إجرائها من أن يفتح المرء قلبه وروحَه دائماً على المعنويات؛ أي إن عليه أن يحاول فهم المسائل الإيمانية والقرآنية

بملكاته الذهنية والعقلية بالمدارسة والمذاكرة، وأن يعبّ شيئاً فشيئاً من سيل الأنوار والمعنويات الهادرة عليه.

التوجه يُقابَل بالتوجه

لا يزال كثير من الناس يتفوهون بطيب الكلام وأروع البيان حول هذه الأشهر المباركة ولياليها وأيامها وفقاً لمستواهم وسعة أفقهم، لافتين الأنظار إلى جمالياتها التي تغذي حياة المؤمن.

والوقوف على هذه المؤلفات -التي تُقدّر قيمتها بالكنوز- كلمة كلمةً، وتحليلها وفهمها واستيعابها بالمدارسة والمناقشة، له أهمية بالغة في فهم الواردات واستشعار الفيوضات التي تهال على الإنسان بفضل هذه الأشهر المباركة.

أجل، لا بد من تجنّب القراءة السطحية الشكلية، ومن سبر أغوار المسألة؛ حتى تتحقق الاستفادة الكاملة مما كُتِبَ عن الأشهر الثلاثة، وإلا تعدّر على المرء أن يستفيد تمام الاستفادة مما قرأه أو سمعه.

ولا يستطيع المرء أن يتلذذ ويستشعر حقاً بجماليات هذه الأوقات المباركة وأذواقها ولذائذها التي يجد طعمها في قلبه، إلا بعد أن يعرف ويضع في حسبانها أنها أشهر جمع الغنائم، وبعد أن يستغلها بليتها ونهارها ولا يضيّع لحظةً منها؛ فمثلاً إن لم يعزم المرء ويصمّم على قيام الليل ولم يتوجه إلى الله ولم ينهل من فيوضات الليالي، فإنه يتعدّر عليه أن يشعر بعمق جماليات هذه الأشهر المباركة أو يتلذذ أو يستمتع بها.

أجل، إن لم يبدأ الإنسان هذه الأشهر بشدّ معنوي قوي، ولم يندّر نفسه للعبادة استشعاراً لحقّ العبودية، ولم يفرغ نفسه تماماً لهذا الأمر، فلن يمكنه استشعار ما في هذه الأوقات المباركة وإن انهمرت عليه أظافها بغزارة، بل قد يقبّل ما قيل عنها حسب إدراكه واستعداده، ويعده تكلفاً وخيالاً.

أجل، إن استشعار الفيوضات التي تغمرنا من رأسنا إلى أخصص قدمينا في هذه الأشهر المباركة، مرهونٌ -بدايةً- بالإقرار بها والإقبال عليها؛ لأن التوجه يُقابَل بالتوجه، فإن لم تُقبِلوا على هذه الأشهر بروحها ومغزاها، فلن تفتح لكم أبوابها، بل إن الكلمات

الرنانة البراقة التي قبلت عنها، تنطفئ وتذبل في أنظاركم وكأنها جسد لا روح فيه ولا حياة.. بل إن عبارات ابن رجب الحنبلي التي تعزف على الوتر الحساس، وأقوال الإمام الغزالي التي تبعث العشق والشوق في القلوب، لا تجد صداها في قلوبكم؛ لأن الكلمة لا يكون لها وقعٌ أو تأثيرٌ إلا إذا تهيأت لها عقول المخاطبين وإدراكاتهم وصدورهم تهيؤاً يناسب قيمتها.

ومن ثم ينبغي للمرء أن يتبنى هذه المسألة وأن يصبح رجياً وشعبانياً ورمضانياً؛ أجل، عليه أن يتوحد مع هذه الأوقات السعيدة حتى يتسنى له استشعار ما تبثه في روحه وإدراكه، وإلا فإن ظلمتكم كما أنتم، ولم تنأوا بأنفسكم عن السطحية، ولم تحققوا في ماهية هذه الشهور، فستدخل هذه الكلمات الجميلة التي تدور حولها من أذن وتخرج من أخرى. وعلى ذلك فمن يُقبل على سفاسف الأمور، ولا يسعى إلى تجديد نفسه في موسم الغنائم هذا، ولا تتسم أفعاله وسلوكياته بالجدية والاتزان، فمن الصعب جداً أن يستفيد من مثل هذه الأوقات المباركة.

البرامج المناسبة للأوقات المباركة

وللمسألة وجه آخر ذو صلة بروح المجتمع ورضاه بالأمر، والواقع أن الشعور والإحساس بسعة هذه الأشهر وعمقها الحقيقي، شأن من يخلقون في أفق القلب والروح. والحق أن لمجتمعنا معرفة عامةً بقدر هذه الأشهر الثلاثة وبركتها، لذا يرتاد المساجد ويتوجه إلى الله تعالى.. ويمكن الاستفادة من هذا الواقع، فهو طريق مهم إلى قلوب الناس لنبلغهم رسائل معينة، وذلك بتنظيم برامج وأنشطة مختلفة في هذه الأوقات المباركة. ولنا في ليالي "المعراج ونصف شعبان والقدر" أن ننظم برامج خاصة تخاطب أهل عصرنا بشرط الالتزام بروح الدين.. وبهذا نكون قد استثمرنا تلك الليالي المباركة في تقريب الناس إلى الله، وإشعار القلوب بحقيقة الدين.. وكما يمكن إشعار قلوب الوافدين إلى المساجد ببعض الحقائق، يمكن أيضاً استغلال لقاءات المدارس والندوات ومجالس العلم، ويحسن كذلك استغلال اهتمامات وطموحات من يعرفون عظيم قدر هذه الأشهر الثلاثة.

وأريد أن ألفت الانتباه هنا إلى بعض الأمور التي أراها مهمة في هذه البرامج: إن غايتنا من استغلال هذه المناسبات المختلفة وتنظيم جميع هذه الفعاليات، هو تقريب الناس خطوة خطوة إلى الله تعالى بعوالمهم الفكرية والحسية، فإذا لم تبلغ بنا هذه البرامج والأنشطة إلى ذاتيتنا، ولم ترشدنا إلى سبيل معرفة أنفسنا، فإن هذا يعني أننا نشتغل بما لا طائل من ورائه. أجل، إن كنا نعجز عن التعبير عن الحقائق الإلهية، ولا نستطيع أن نقرب الناس من سيد السادات - عليه أفضل الصلوات وأتم التسليمات - أكثر، أو إن كنا ننظم برامج تخاطب أهواء الناس ورغباتهم، ولا يخرجون إلا بقول "لقد أمضينا لحظات

إن غايتنا من استغلال هذه المناسبات المختلفة، هي تقريبُ الناس خطوة خطوة إلى الله تعالى بعوالمهم الفكرية والحسية، فإذا لم تبلغ بنا هذه البرامج والأنشطة إلى ذاتنا، ولم ترشدنا إلى سبيل معرفة أنفسنا، فإن هذا يعني أننا نشتغل بما لا طائل من ورائه.

لطيفة"؛ فهذا يعني أننا أسرفنا في الوقت، أو أننا اقترفنا إثماً.. وذلك أن كل سبيل لا تؤدي إلى الله ﷻ وإلى رسوله ﷺ، هي سبيل خداعة. نعم، إن تسليّة الناس وتنظيم الحفلات والمهرجانات، ليس شأن ولا وظيفة القلوب المؤمنة التي ترغب أن تكون ترجماناً للحق والحقيقة.

وللناس في يومنا هذا أنماط حياة فيها لهو وتسليّة، وربما يخدعكم ما يُظهرونه من اهتمام في هذا الموضوع، حتى إنكم حين تنظرون إلى سرورهم قد تظنون أنكم قمتم بعمل نافع، بينما الأهم من اهتمامهم هو صحة هذا العمل في ميزان الشرع؛ فعليكم أن تهزولوا دائماً وراء الحق حتى وإن لم يكن هناك اهتمام بالفعالية القائمة أو كانت المشاركة قليلة، أي إن تقدير الناس وتصفيقهم ليس هو المهم، بل المهم هو أن يكون البرنامج الذي تنظّمونه يضيف شيئاً لحياتنا القلبية والروحية.

في هذه الفترة الزمنية المباركة التي تغرق فيها السماوات في لجة الأنوار وتزدان الأرض بالموائد السماوية، علينا أن نوجه الناس دائماً إلى التعمق في حياتهم القلبية والروحية، وأن نربط كل عمل سنضطلع به بالأهداف السامية والغايات العالية.. حتى إنه لا بد أن نغذّي في كل مرة قلوب الناس معنّى وروحاً جديدين، ونجعلهم يُبحرون بنهم إلى المعنويات. ولتحقيق هذا، علينا أن نستهدف من خلال هذه الفعاليات كلها، ترغيب الناس في الآخرة، ونحرّك في القلوب الشوق إلى الفوز بالسعادة الأبدية والخوف من الخسارة، وأن نسعى في النهاية إلى أن يعي الناس روح الدين.

والحاصل أنه لا بد من جعل الجوامع والجماعات والجمّع والأشهر الثلاثة المباركة؛ رجب وشعبان ورمضان، وما فيها من ليلة المعراج ونصف شعبان والقدر، وسيلةً لتوجيه الناس إلى الله تعالى.. إن كل لحظة من هذه الأوقات المباركة مواتية لبلوغ الخلود، فينبغي أن تهدف جميع ما فيها من فعاليات إلى تحقيق الغايات السامية النبيلة. ■

(٩) نشر هذا المقال في كتاب "شد الرحال لغاية سامية"، محمد فتح الله كولن، ترجمة: عبد الله محمد عنتر، د. عبد الرزاق أحمد، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠١٤.



النوموفوبيا

المشكلة و علاجها

التطور غير المسبوق في تقنيات الهواتف الذكية، وتعدد وظائفها وتطبيقاتها واستعمالاتها، نقلها من مجرد وسائل اتصال عادية إلى امتدادات للشخصية الإنسانية، مما ساهم في تكريس الاعتماد عليها والتعلق الشديد بها، وتنامي رهاب جديد هو فقدان الهاتف المحمول، وقلق البعد عنه، أو "النوموفوبيا" (Nomophobia). وقد اختار قاموس "كامبريدج" مصطلح "نوموفوبيا" (Nomophobia) ككلمة أبرز لعام ٢٠١٨، وعرفها بأنها "شعور بالخوف والقلق الشديد من مجرد التفكير بفقدان وعدم القدرة على استعمال الهاتف المحمول، أو انتهاء طاقة شحنه، أو التواجد خارج تغطية شبكة الاتصالات.. ودشن مصطلح "النوموفوبيا" عام ٢٠٠٨ عبر دراسة أجرتها منظمة You Gov البحثية، بتكليف من مكتب البريد البريطاني؛ لتقييم "حدة القلق" الذي يعاني منه مستخدمو الهواتف المحمولة.

وقد أثير سؤال: هل "النوموفوبيا" مرض، أم لا؟ فاعتبر كثير أنها ليست مرضاً، بل هي حالة تشبه "المتلازمة"، أو "مجموعة أعراض وسلوكيات". وأكد آخرون بأنها "مرض ينتمي لفئة الاعتماد والإدمان ليس على الهاتف ذاته، بل بتطبيقاته المتزايدة، كالألعاب الإلكترونية، ومنصات التواصل الاجتماعي، وبرامج الدردشة.. إلخ. وبإجراء استبيانات لمدى التعلق بالهاتف، يتبين الوعي

النوموفوبيا هو شعور بالخوف والقلق الشديد من مجرد التفكير بفقدان الهاتف المحمول، وعدم القدرة على استعماله، أو انتهاء طاقة شحنه، أو التواجد خارج تغطية شبكة الاتصالات.

حراه

وفي بحث بدورية "تقارير تأثير الكومبيوترات على سلوك الإنسان" (Computers in Human Behavior Reports) (إصدار أغسطس-ديسمبر ٢٠١٩)، أجري اختبار على ٤٩٥ شابًا؛ ١٨-٢٤ عامًا ٥٢٪ من الإناث والباقي من الذكور، ٧٠٪ في المرحلة الثانوية و٣٠٪ في المرحلة الجامعية، وتشكل العينة الشريحة الأكبر لمستهلكي الهاتف، حيث استعمل المشاركون الهاتف بمعدل ٤-٧ ساعات يوميًا، وأمضوا أغلبها على مواقع التواصل الاجتماعي (٤٧،١٪)، وسماع الموسيقى (١٤،١٪)، والألعاب الإلكترونية (١٣،٥٪)، ومطالعة الأخبار (١٠،٩٪)، ومتابعة المدونات (١٠،١٪)، وتفقد البريد الإلكتروني (٤،٤٪). وتبين وجود ارتباط إيجابي بين عدد ساعات الاستخدام وتطوير رهاب الابتعاد عن الهاتف، وارتباط سلبي بين مستوى التعليم والنوموفوبيا. في حين لا يوجد فروق بين الجنسين أو من حيث فارق العمر بين أفراد العينة.

وأوضح التقرير السنوي الرقمي في إندونيسيا (٢٠١٩) أن عدد مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي في تزايد، إذ وصلوا إلى ١٥٠ مليون مستخدم، ويمتلك نحو ٦٦٪ من السكان هاتفاً ذكيًا معظمهم من الشباب. واحتلت إندونيسيا المرتبة الخامسة عالميًا عام ٢٠١٩ في استعمال الإنترنت (بمتوسط ٨،٥ ساعة/يوم على الإنترنت). وفي عام ٢٠١٨ أجريت دراسة إندونيسية على طلاب (١٥-١٨ عامًا)، واتضح أن ٥٢٪ صنفوا من "مدمني" الهواتف النقالة ويعانون ضعف ضبط النفس تجاه أجهزتهم.

وفي ماليزيا، تظهر الإحصاءات أن ٧١٪ من الماليزيين (فوق ١٥ عامًا) يستخدمون الإنترنت، وما يقرب من

بوجود المشكلة، ومن ثم حلها. وتشتمل الاستبيانات عن أسئلة مثل: منذ متى وأنت تستعمل الهاتف الذكي؟ هل تستطيع قضاء يوم كامل دونه؟ كم عدد الساعات التي تقضيها بصحبته يوميًا؟ ما متوسط أيام استهلاكك لباقة الإنترنت؟ هل تشعر بالقلق إذا نفذت بطاريته أو لم تكن هناك تغطية لخدمة شبكة الاتصالات؟ هل يصيبك الهلع إذا لم تتمكن من العثور على هاتفك لفترة وجيزة؟ وبالإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها كثير، يتبين الفارق بين "الاستخدام المعتدل" للهاتف الذكي و"الإفراط في استعماله"، مما يسبب لصاحبه شعورًا بالخوف لفقده كما لو سيفقد عضوًا من أعضائه!

دراسات مؤشرات

تقوم دراسات "النوموفوبيا" على جمع بيانات المشاركين: الجنس، والعمر، والمستوى التعليمي، وأنماط استخدام الهاتف الذكي.. إلخ. كما تصمم مقاييس لتقييم الرهاب وارتباطه باضطرابات نفسية أخرى عبر عناصر محددة، كالقلق والتوتر الشديد والوسواس القهري والاكتئاب.. ومن ثم يتم التوصية ببرامج إرشادية لتخفيف مظاهر هذه الفوبيا. ففي دراسة لشركة "سكويري انفوي" للخدمات الأمنية (نشرتها صحيفة الدايلي ميل)، ظهر أن أكثر من ١٣ مليون شخص بريطاني -يمثلون ٦٦٪ من إجمالي مستخدمي الهواتف المحمولة- عندما يعزلون عن هواتفهم فإنهم يعانون من قلق كقلق زيارة طبيب الأسنان. وتنتشر "النوموفوبيا" بين الشباب (١٨-٢٤ عامًا)؛ وأفاد ٧٧٪ منهم أنهم لا يستطيعون التواجد بعيدًا عن هواتفهم المحمولة لشوانٍ معدودة، وبلغت النسبة ٦٨٪ فيمن أعمارهم (٢٥-٣٤ عامًا). وباتت النساء أكثر هوسًا بفقدان هواتفهن لاعتمادهن المتزايد عليه. واتضح أن الأشخاص يتفقدون هواتفهم المحمولة بمعدل ٣٤ مرة يوميًا، وأن ٧٥٪ منهم لا يستغنون عن هواتفهم حتى عند دخولهم المراحيض.

وكانت "منظمة الصحة العالمية" (WHO) قد أصدرت تقريرًا عام ٢٠١٥، بشأن التداعيات الصحية العامة جراء الاستخدام المفرط للهواتف الذكية وإدمان الإنترنت، ومنها الإصابة بالقلق والاكتئاب والضغط العصبي.

٤٧٪ من الطلبة مدمنون للهواتف الذكية، ويقضي ٣٠٪ من الطلبة الماليزيين ما يزيد على سبع ساعات يوميًا في استخدام الهاتف، ويستعمله ٤٥٪ منهم ما بين ٤-٦ ساعات يوميًا. كما أن طلاب الجامعات الحكومية لديهم ارتباط بين إدمان الهواتف المحمولة والإصابة بالقلق والاكتئاب، إذ سجّل الطلبة ذوو الارتباط الوثيق بالهواتف المحمولة مستويات أعلى من القلق والاكتئاب. كما أن إدمان الهواتف المحمولة يؤدي بشكل مباشر إلى تراجع الأداء الدراسي والأكاديمي للطلاب.

ويشار إلى أن الفيليبينيين هم الأكثر نشاطاً على الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي عالمياً، إذ يقضون أكثر من ١٠ ساعات يوميًا، وأن ٦٢٪ من المراهقين بالمرحلة الثانوية يعاني إدمان الهواتف الذكية. ولقد ترك الأمر بصمته على أسلوب حياة الطلاب وتقديراتهم العلمية والصحة الروحية، إلى جانب العلاقات مع الآخرين. ووفقاً لمؤشرات "يونيسف" في الفيليبين، فإن الأطفال يحصلون على هواتفهم المحمولة في متوسط عمر ١٠ سنوات وهي سن مبكرة نفسياً. وفي الصين يعتقد أكثر من ٤٠٪ من الآباء الصينيين إدمان أبنائهم الهواتف، إذ يقضي أطفالهم (١٠-١٧ عاماً) بالمتوسط أربع ساعات ونصف ساعة على الهواتف خلال كورونا، بزيادة ساعتين عما قبل الجائحة.

ومؤخراً وعلى المستوى المصري، تمت (الأحد ٢٨ نوفمبر ٢٠٢١) مناقشة أطروحة دكتوراه رائدة في هذا المضمار لكريمة كاتب هذه السطور الباحثة "شيماء ناصر أحمد سنه"، في كلية الدراسات العليا للطفولة/ قسم الدراسات النفسية للأطفال، جامعة عين شمس، تحت عنوان: "فاعلية برنامج لتخفيف النوموفوبيا لدى عينة من المراهقين المتفوقين عقلياً".

أسباب نوموفوبيا

- يلعب الخوف من العزلة والوحدة دوراً في تطور الرهاب، مما قد يرغب في إبقاء الهاتف قريباً ودائماً.
- يؤدي التعايش مع مشاعر القلق عمومًا لزيادة خطر الإصابة بالمشكلة.
- الإصابة ببعض الاضطرابات النفسية قد تكون عاملاً محفزاً للنوموفوبيا.
- قد تلعب العوامل الوراثية دوراً في ذلك.
- يوجد ارتباط إيجابي بين النوموفوبيا واضطرابات القلق والعزلة الاجتماعية والوسواس القهري والاكتئاب والعدائية والشعور بالدونية والقدرة المنخفضة على التكيف الاجتماعي. وعلى الرغم من ارتباط النوموفوبيا بالاستخدام المفرط للهواتف المحمول، إلا أن الأشخاص الذين لديهم اضطرابات نفسية بالأساس، يميلون إلى تطوير هذا النوع من الرهاب أكثر من غيرهم.

ما أعراض الرهاب الجديد؟

- الإمساك بالهاتف منذ لحظة الاستيقاظ وحتى قبل النهوض من الفراش، وكثيرون ينامون أثناء استخدامه، مع عدم امتلاك القدرة على إطفائه خلال اليوم.
- عدم الانتقال لمكان آخر دون حمله، وعدم القدرة على التخلي عنه حتى أثناء دخول المرحاض.
- التأكد من شحن البطارية، وتفعيل باقة الإنترنت باستمرار.
- الشعور بالقلق والتوتر والتشتت أثناء العمل أو الدراسة، والفرع: "لقد تركت هاتفي في المنزل". وربما وصل الأمر لشعور بعضهم بأعراض الصدمة.



• هوس تفقد الرسائل الإلكترونية والنصية والإيميلات وسجل المكالمات الفائتة، وإشعارات مواقع التواصل المختلفة، مثل الفيس بوك والواتس أب.. وتبادل الصور المخزونة فيه مع آخرين، مع وجود توقعات اجتماعية مرتفعة.

• إدمان الهواتف المحمولة يرتبط بالاندفاع والانشغال بالأشياء المادية وهوس الشراء.

• تفاعل الدماغ مع إشعارات الهاتف المتتالية يوميًا يجعل مراكز المكافأة بالدماغ (تنتج الدوبامين) تنشط كنشاتها عند الأكل والشرب.

• يأخذ الهاتف وتطبيقاته المختلفة جل الأحاديث، كما يمتلك كثيرون أكثر من هاتف.

• متلازمة رنين الهاتف: سرعة تفقد الهاتف لمجرد سماع أي رنين.

• فقد القدرة على تطوير مهارات التواصل الاجتماعي الحقيقية. ولوحظ حدة قلق الآباء بسبب إدمان أولادهم لهواتفهم.

• آلام المعصمين والذارعين والكتفين، وتوترات الرقبة والظهر، والصداع.. ارتفاع معدل الأدرينالين بالدم مما يزيد من نبضات القلب وضغط الدم.

• إجهاد العين الرقمي، واضطرابات النوم، يؤثر إشعاع الجهاز سلبًا على العين، وتنبه مركز الوظائف الحيوية بالدماغ، فيظل الشخص مستيقظًا. ويرتبط على بقائه مستيقظًا شعوره بالجوع والإفراط في الأكل.

• المزاج الاكتئابي وتدني مستوى الثقة بالنفس، واحترام الذات، وتراجع الأداء الدراسي أو العمل.

كيف نعالج النوموفوبيا؟

• تعزيز نمط حياة صحي وإيجابي بين المراهقين والشباب، ووضع دليل استرشادي للأبناء للاعتدال بين وقت استعمال الهاتف ووقت الأنشطة الخارجية والإبداعية الأخرى.

• الحفاظ على علاقات أسرية واجتماعية قوية، والحصول على مستوى عالٍ من التعليم والتحصيل الدراسي يقي من النوموفوبيا. وألا ينشغل الإنسان بالنظر إلى الهاتف عند الحديث مع شخص أمامه.

• عمل رحلات طبيعية وأنشطة بدنية وثقافية، والاستمتاع بذلك بمعزل عن الهواتف.

• علاج التعرض، لتعلم مواجهة الخوف عبر التعرض التدريجي له.

• الابتعاد التدريجي: تدريب الشخص على التوقف عن النظر في الهاتف كل خمس دقائق، ثم زيادتها إلى عشر، ثم خمسة عشر دقيقة، ثم زيادة الفواصل الزمنية.

• ضبط الهاتف على الوضع الصامت، بحيث لا يكون الشخص منتبهًا له طوال الوقت، وكذلك وضعه في غرفة غير التي ينام فيها.

• تحديد ساعات تعرّض الأطفال للهاتف (السن المناسبة لحصول الطفل على هاتف ما بين ١٢-١٤ عامًا)، منعا لتعرضهم للمواقع الممنوعة، أو التنمر الذي يؤثر في تفكيرهم وتحصيلهم الدراسي.

• التأكد من مناسبة الألعاب الإلكترونية لسنّ الأطفال، ومنع الألعاب قبل إنجاز المهمات المطلوبة من الطفل.

• ابتكر طلاب إندونيسيون ساعة ذكية تكشف عن معدل الإبحار على الإنترنت، والتحذير حال وجود أي تأثير على الصحة.

• منعت الحكومة الصينية استخدام الهواتف المحمولة في المدارس، وحظر إحضارها إلا بموافقة مكتوبة من الوالدين. وفي عام ٢٠١٨ وضعت خططاً لصناعة الألعاب الإلكترونية كي لا تسبب إدماناً للأطفال على الهواتف.

• العلاج المعرفي والسلوكي يُحدث تحسناً بعد عدة جلسات، ويساعد على تعلم إدارة الأفكار والمشاعر السلبية للنوموفوبيا.

وختامًا: في مدرسة الصوم نتعلم تربية الإرادة القوية التي لا تجعل من العادات -ومنها إدمان استعمال الهاتف النقال- إلغًا لا يمكن الانعتاق من ربقتها، كما أن الشخصية القوية الواثقة بنفسها قادرة على التعامل مع الهاتف المحمول بكل مغرباته كجزء من حياتها وليس كل حياتها. ■

(٢) كاتب وأكاديمي مصري.



التسامح دعوة إلهية تحتاجها المجتمعات الإنسانية

كل دعوات نبد التطرف والكراهية لا يمكن أن يتأسس بناؤها إلا على قيمة التسامح بمنطلقاته ومفاهيمه المستنبطة بما جاء في الوحيين: القرآن الكريم، وسنة النبي ﷺ. ومن خلال هذا البحث، سنحاول الوقوف عند بعض هذه المقاصد العليا للشريعة الإسلامية التي يتحقق من خلال الاهتمام بهذه القيمة.



١- تحقيق وحدة الوطن وتماسك أفراده

المفتاح الأساسي لوحدة المجتمعات هو في تماسك وترابط

من المقاصد السامية التي يوجد لها التسامح
الفكري والديني والمجتمعي بين الناس،
إنشاء آفاق واعدة للحوار والنقاش البناء
والمثمر، المبني على الإنصات للآخر، والذي
يسود فيه الخطاب الإيجابي المبني على
قواعد سليمة وهادفة.

حراه

إن حفظ المودة بين الناس ونبذ الكراهية، يقوم
على أساس التراضي والتوافق بين الناس، وهو يسهم
في استمرار العلاقات الاجتماعية والإنسانية بين
الأفراد والجماعات، لأنه يزيل الكراهية. فلا يمكن أن
يحصل البيع والشراء والقرض والدين وباقي العقود
والتصرفات والمعاملات دون أن يكون هناك سماحة،
فهذا مما يحفظ المودة. فالسلام يُبنى على المودة لا
على الكراهية، ولا مودة بلا تسامح، ولا سلام بلا مودة.
لذلك ينبغي أن نُفهم شباب المسلمين أهمية
التسامح في الحياة الأسرية؛ لأنها تتضمن معاني حفظ
المودة فيقع التأثير الإيجابي في سلوك الأطراف
المؤسسة للأسرة، ويعود الأثر على المجتمع، فيتعداه
إلى المنتظم الدولي الذي يعاني من سلوك الأفراد الذين
نشأوا في بيئة غير متسامحة، يسود فيها الحقد والكراهية
والتطرف والعنف.

٣- إعطاء الحقوق والعدل فيها

لا يمكن فهم التسامح أنه تنازل عن الحق أو تساهل
فيه، بل هو إعطاء الحق والعدل فيه. فالتنازل بين
الزوجين لتحقيق الصلح، لا يمكن فهمه إلا في إطار
تحقيق مصلحة استمرار العشرة، وبناء أسرة متماسكة
وقوية. وكذلك الأمر بين أفراد المجتمع؛ فالتنازل
عن الحقوق وإعطائها تسامحاً، يتضمن مصلحة
تحقيق المودة والمحبة والرحمة، فهم مطالبون بإعطاء
الحقوق قبل طلبها.

وقد أعطى الإسلام المثال الصادق لذلك؛ فكان
يعطي الحقوق قبل طلبها، فأعطى أهل الملل والأديان

أفراد، وهذا لن يتأتى دون استحضار قيمة التسامح في
المجتمع بكل تجلياته وضرورياته؛ الدينية والفكرية
والاجتماعية.

فالتسامح الديني يسمح بالتعايش بين أفراد
المجتمع رغم اختلاف دياناتهم ومعتقداتهم. فالحرية
الدينية في بلاد المسلمين أصل كفله الشرع الحكيم
لجميع أهل الديانات الأخرى، ولا مانع من تعايش
أهل الديانات الأخرى ببلاد الإسلام في إطار من
التأخي والمحبة ونبذ العنف.

أما التسامح الفكري فيؤسس للبنات الحوار البناء
بين أفراد المجتمع، المبني على شرعية الاختلاف دون
تحقير أو إهانة أو فرض للرأي الآخر، وهو الكفيل بتطور
المجتمع وتحقيق الوحدة بين أفراد، وترك الخلافات
الفكرية لأصول المحاججة والمناظرة العلمية الرصينة
التي تقبل الرأي والرأي الآخر.

وبالتسامح الاجتماعي يتحقق البناء والتطور، لأنه
يقوم على التعاون بين مكونات المجتمع، ويعمل
على تأسيس أسر متماسكة وموحدة قائمة على المودة
والرحمة.. فيظهر أثر كل ذلك في وحدة المجتمع
وتماسك أفراد، وبالتالي تحقيق التطور والإقلاع
الاقتصادي والاجتماعي.

٢- حفظ المودة ونبذ الكراهية

من مقاصد التسامح، نسيان الإساءة، ومعناه عدم ردِّ
ما يتعرض له المسلم من إساءة وأذى بمثله، امثالاً
لخطاب القرآن: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ (النور: ٢٢)؛ أي،
عما تقدم منهم من الإساءة والأذى، وهذا من حلمه
تعالى وكرمه ولطفه بخلقه مع ظلمهم لأنفسهم.

فنسيان إساءة الماضي بكامل الإرادة، يرتب آثاراً
طيبة في المجتمع، وهو مقصد مهم في الإسلام الذي
يدعونا إلى التخلي عن رغبتنا في إيقاع الأذى بالآخرين
لأي سبب قد حدث في الماضي، ويدعونا لفتح أعيننا
لرؤية المحاسن بدل المسائى، وأن نحلم على الناس
بدل أن نحاكمهم وندينهم، فنرفع تكلف الحرج والضيق
عنهم، ويكون سبباً في صلاحهم ونفعهم.

حقَّ البرور والصلة والعدل بهم، فقال سبحانه: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: ٨)، ولم يطلبوا ذلك، بل أعطاه لهم ابتداء ما داموا لم يقاتلوا ولم يحاربوا المسلمين، ولم يعتدوا عليهم بإخراجهم من ديارهم.

كما اعترف الإسلام بتواجد اليهود بالمدينة المنورة؛ فوثيقة المدينة اعترفت بيهود بني عوف وبني ثعلبة وبني النجار، وبحقوقهم السياسية وحريةهم الدينية، واعتبارهم مواطنين كغيرهم من المسلمين.. فلم تحرمهم من أي حق لا ابتداء ولا انتهاء.

فلم يأت هذا العطاء بعد المطالبة أو تحت الضغط، بل جاء انطلاقاً من اعتبار قيمة التسامح عطاءً وجُوداً. فالمعطي والعاقل في الحقوق هو المتسامح دائماً.

فإذا فهمنا هذا المعنى، ونزلنا هذا المقصد في حياة الناس، تحقق ذلك التعايش المراد بين أفراد المجتمع.

٤- التنازل لمصلحة راجحة

تحاول أغلب الدراسات الحديثة ربط التسامح باحترام حقوق الآخرين وحررياتهم، وإبعاده عن مفهوم التنازل لما يحمله من دلالات سلبية. بل اتجهت بعض الدراسات إلى ربط دفع غير المسلمين للجزية في بلاد الإسلام بمفهوم التسامح القائم على التنازل. بينما نجد أن من مفاهيم التسامح في السنة النبوية؛ المساهلة، واللين والتيسير والرفق، وكلها توافق وتؤكد معنى التنازل الذي يحقق مصلحة. جاء في الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار؟" قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "كل هين لين قريب سهل" (رواه الترمذي). فكان المتسامح سهل الجانب لين النفس، ميسراً للأمور غير معسر ولا مشدد.

ونضرب المثل بتنازل أحد الزوجين عن بعض حقوقه مكرومة منه وسماحة؛ من أجل استمرار العلاقة الزوجية، فيتم ترجيح بين مصلحة راجحة ومرجوحة، وبالتالي إخضاع التنازل لمنطق الترجيح، وهو أصل

مقاصدي في الشريعة الإسلامية يقوم على الترجيح بين المصالح، أو المصالح والمفاسد لدرء ما عظم من هذه الأخيرة فتقدم. وهو نفس المعنى الذي تأصل في صلح الحديبية، حين قدم النبي مصلحة إجراء الصلح مع قريش، مع تنازله عن كتابة اسم الله على وثيقة الصلح وصفته النبوية. فهذا الصلح يؤكد معنى جليلاً في التسامح، وهو التنازل في الصلح لمصلحة.

فمن الآثار الطيبة التي يحققها أعمال قيمة التسامح في المجتمع، الترجيح بين المصالح، والتنازل لمصلحة راجحة يتبين تحققها في الواقع، فيتم تطبيق هذا المبدأ في العلاقات الدولية التي تربط المسلمين بغيرهم، فتمتد يد التسامح لكل من يظهر في التعامل معه مصلحة ظاهرة للإسلام والمسلمين.

٥- تحقيق السلم الاجتماعي

إن دعوة الإسلام إلى فضّ النزاعات والصراعات والحروب، والجنوح للإصلاح بين الناس والشعوب عموماً، في مثل قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ (الأنفال: ٦١)، وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً﴾ (البقرة: ٢٠٨)، إرشاد لفهم أهمية السلم في حياة البشرية جمعاء، وأهمية ما يوصل إليه ويؤثر فيه إيجاباً وسلباً. وهو خطاب للمسلمين سواء كانوا في بلادهم أو في بلاد الآخرين، بضرورة رعاية مبدأ السلم والدعوة إليه، ورعاية القيم الكفيلة بتحقيقه، "فحقيقة السلم، الصلح وترك الحرب".

وإذا كان السلم مقصداً شرعياً، فإن وسيلة تحقيقه هي التسامح. فكل معنى من معاني التسامح، ينشد السلم ويدعو إليه، مثل العفو، المغفرة، الصفح، الرفق، فإذا تسامحنا تحقق بيننا السلم الاجتماعي. وكذلك الأمر بالنسبة للدول والشعوب، فإذا تسامحت وتنازلت عن بعض حقوقها لمصلحة راجحة، وأعطت الحقوق قبل طلبها، فإنه مدعاة لتحقيق السلم العالمي.

إن السلم مقصد شرعي هام يُفهم من مجموع النصوص، دعا إليه الشرع الحكيم لإعمار الأرض وإحيائها بما ينفع الناس، وكل ما يوصل إليه يأخذ

حكّمه، إذ للوسائل حُكم المقاصد - كما يقول العلماء -
فما يتوصل به إلى السلم يجب أن يجتهد في تحصيله،
وما يبعد عن السلم وما يبعد عن التسامح - بحكم أنها
وسيلة للمقصد - فيجب تركها والابتعاد عنها.

٦- الحوار البناء الإيجابي

من المقاصد السامية التي يخلقها التسامح الفكري
والديني والمجتمعي بين الناس، خلق آفاق واعدة
للحوار والنقاش البناء والمثمر، المبني على الإنصات
للآخر، والذي تتقدم به البلاد ويسهم في الرقي، ويسود
فيه الخطاب الإيجابي المبني على قواعد سليمة وهادفة،
وبالتالي يندثر الفكر الظلامي، وتمحى آثار الفكر
السلبى الذي يؤمن بالرأى الواحد.

فالحوار الراقي هو الذي يثمر قضايا فكرية مهمة
تنفع الأمة، أما الصراخ والحوار دون هدف ولا ضوابط
شرعية، والمصاحب بسوء الإنصات أو رفض الإنصات
أصلاً، فلا يحقق أي نفع للأمة، لأنه مبني على الكراهية،
وهو حال كثير من حوارات اليوم.

لقد أسهم مثل هذا النقاش الحضاري في الحفاظ
على وحدة الأمة الإسلامية في كثير من العقبات التي
أصابتها، بدءاً باختيار الخليفة للمسلمين بعد وفاة
النبي ﷺ، حيث اجتمع الأنصار والمهاجرون بسقيفة
بني ساعدة، وبعد نقاش مستفيض وبنّاء، تمثلت فيه
قيم التسامح حاضرة وشاهدة على مواقف الأنصار
الذين استبشروا بما وجدوا من حجج تدفع بخلافة
أبي بكر الصديق، عبّروا عنها في مواقف صادقة، منها
موقف أسيد بن حضير الكتائب الأوسي الأشهلي ﷺ
وهو من أثبات الأنصار وكبار قاداتهم وأهل الطاعة
فيهم، حيث قام في ذلك اليوم فقال: "يا معشر
الأنصار، إنه قد عظمت نعمة الله عليكم أن سمّاكم
الأنصار، وجعل فيكم الهجرة، وقبض فيكم رسول
الله ﷺ، اجعلوا ذلك شكرًا، فإن هذا الأمر في قريش
دونكم، فمن قدموه فقدموه، ومن أخروه فأخروه"
(رواه البخاري). وتكلّم بشير بن سعيد الخزرجي وعويمر
الأنصاري، وحباب بن المنذر رضي الله عنهم،

واقترحوا أميراً من الأنصار وأميراً من المهاجرين،
لكن عمر، لما أنصت لكلامهم، قال رضي الله عنه: "يا
معشر الأنصار- أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ أمر أبا
بكر رضي الله عنه أن يصلي بالناس؟ قالوا: بلى، قال:
فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر بعد ذلك؟ فقالوا:
نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر".

إذن، بعد نقاش وحوار هادف وإنصات لرأى
الأنصار، استقر الصحابة بقناعة تامة أن الخلافة لأبي
بكر الصديق ﷺ، لاعتبارات أهمها تقديم النبي ﷺ له في
الصلاة، فحسم به الخلاف، وصار موقفاً عظيماً يؤسس
لمفهوم الحوار البناء والهادف، والذي ينبغي أن يؤمن
الناس بآثاره ومقاصده.

ختاماً

فإن التسامح فضيلة وخلق إسلامي أصيل، له أسس
شرعية ولغوية تؤصله وتؤسس بنيته. وقد مارسه
النبي ﷺ وصحابته عملياً، كما مارسه أئمة المذاهب
وتلامذتهم، وتأصل في التراث الفكري الإسلامي
المتنوع، تتحقق به مقاصد سامية للأمة الإسلامية،
وللمجتمعات الإنسانية عامة. لذلك تدعو الحاجة اليوم
للرجوع إلى هذه الأسس والأصول، لفهم التسامح كما
جاء به الإسلام. فهو دعوة للإنسانية لتحكيم العقل،
وترجيح المصالح التي تتأسس باعتماد المقاربة المبنية
على قيمة التسامح بتجلياتها المنبثقة من معاني شرعية
جاء بها القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ.

التسامح دعوة إلهية تحتاجها المجتمعات
الإنسانية، رسّخت في الديانات السابقة، وظهرت
بشكل روحي ضمن الأحكام التشريعية المؤسسة
للبنات الشرعية الإسلامية، لأنها شريعة تقوم على
رعاية مقاصد وروح الأحكام التي تنبثق من أسس
أخلاقية. فلا دين بدون أخلاق، ولا أخلاق بدون
دين، فانظمت به سبل الحياة، وسلكت مسلكاً كونياً
له قواعده وضوابطه المرعية. ■

(*) كاتب وأكاديمي / المغرب.

تاريخ وحضارة

أمير شفيق حسانين*

أدب الأوبئة عبر الأزمنة

تعددت حكايات وروايات الأدباء حول الفيروسات والأوبئة المستعصية التي أبادت أعدادًا هائلة من بني البشر لعقود طويلة، ومن أشهر تلك الأمراض الطاعون والكوليرا والإنفلونزا الإسبانية، ومؤخرًا فيروس كورونا الساحق للأرواح بلا هوادة.. وإذ نعتبر أن مؤلفات رواد الأدب الفيروسي

ت

بمثابة أرشيف نفيس وسجل حافل بالمعلومات، وخير شاهد على أزمان وأحوال ومعاناة مَنْ شهدوا الوباء والبلاء والشقاء.

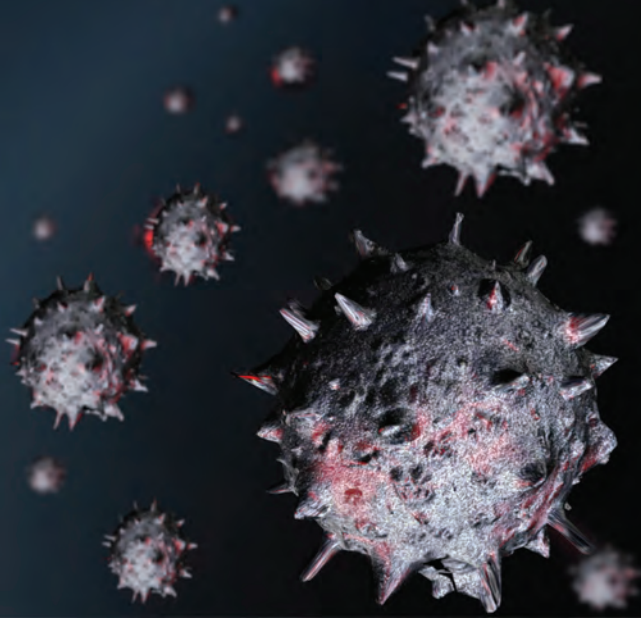
ولعل أبرز الذين اهتموا بأدب الأوبئة هو المؤرخ المصري "زين العابدين بن إلياس"، صاحب مؤلف "بدائع الزهور في وقائع الدهور"، والذي حكى في كتابه عما ألحقه وباء الطاعون بالدولة المملوكية التي عايشها وشهد انهيارها. ومن ضمن ما ذكره ابن إلياس تلك الشهادة التاريخية عن الطاعون: "واشتمد أمر الفناء والغلاء بالديار المصرية وعمّ سائر ضواحيها، ومات من أهل القاهرة والفلاحين نحو النصف.. فلما اشتمد أمر الغلاء وكثر الطعن، نادى السلطان في الناس أن يصوموا ثلاثة أيام متوالية وأن يخرجوا إلى الجوامع".

ويتحدث ابن إلياس في كتابه عن جرائم الطاعون الفتاك قائلاً: "إذا دخل الدار يُفنيها حتى يُعلّقوا مفاتيح الدار في رجل النعش". وقد اتفق معه "شيلدون واتس" في "أن القاهرة التي كان تصنيفها كأكبر أو ثاني أكبر مدينة في العالم بتعداد سكاني يبلغ نصف مليون نسمة، قد فقدت مئتي ألف من سكانها في الفترة من ١٣٤٧م وحتى ١٣٤٩م"، حيث لقوا حتفهم متأثرين بوباء الطاعون.

كما كتب الفقيه والأديب السوري "ابن الوردي" رسالة تنتمي لأدب المقاومة عنوانها "رسالة النبا عن الوباء"، صوّر فيها مآسي وباء الطاعون. وقد وصف ابن الوردي سلوكيات الناس في مدينة حلب أثناء فترة تفشي الطاعون، وشعورهم باقتراب الموت منهم، حتى أنهم بادروا بالتوبة والاستغفار.

وقد أقرّ ابن الوردي أن توبة الخلائق كانت من النتائج الإيجابية للطاعون المنتشر كما يبدو في شرحه: "ومن فوائده تقصير الآمال، وتحسين الأعمال، واليقظة من الغفلة، والتزوّد للرحلة"، كما عبّر ابن الوردي عن "هذا حال أهل حلب" المتغير للحسن من خلال أبيات شعرية تحمل كثيراً من التدبر والاتعاظ من الموت، قائلاً:

فهذا يُوصي بأولاده وهذا يُودّع جيرانه
وهذا يُهيئ أشغاله وهذا يُجهّز أكفانه



وهذا يُصالح أعداءه وهذا يُلاطف إخوانه
وهذا يُوسّع إنفاقه وهذا يُخالل مَنْ خانه
وهذا يُحسّس أمواله وهذا يُحرّر غلمانه
وهذا يُعيّر أخلاقه وهذا يُعيّر ميزانه

وعندما تكاسل المُكلّفون بدفن الموتى عن أداء واجبهم، حتى تكاثرت جثث موتى الطاعون بمدينة الشهباء، وصف ابن الوردي ذلك المشهد المأساوي قائلاً:

اسودت الشهباء في عيني من رمم وغش

كاد بنو نعش بها أن يلحقوا ببنات نعش
برع ابن الوردي في استخدام المُحسّنات البديعية، والعبارات الشعرية الجميلة، مثل تلك التي صوّر فيها طوفان وباء الطاعون، سائلاً الله أن يرحم عباده، قائلاً:
ألا إن هذا الوباء قد سبنا وقد كان يُرسل طوفانه
فلا عاصم اليوم من أمره سوى رحمة الله سبحانه
أراد ابن الوردي أن يختتم المقامة الأدبية التي كتبها عن الطاعون بالدعاء والابتهال إلى الله تعالى، قائلاً:
"اللهم إنا ندعوك بأفضل مما دعاك به الداعون، أن ترفع عنا الوباء والطاعون".

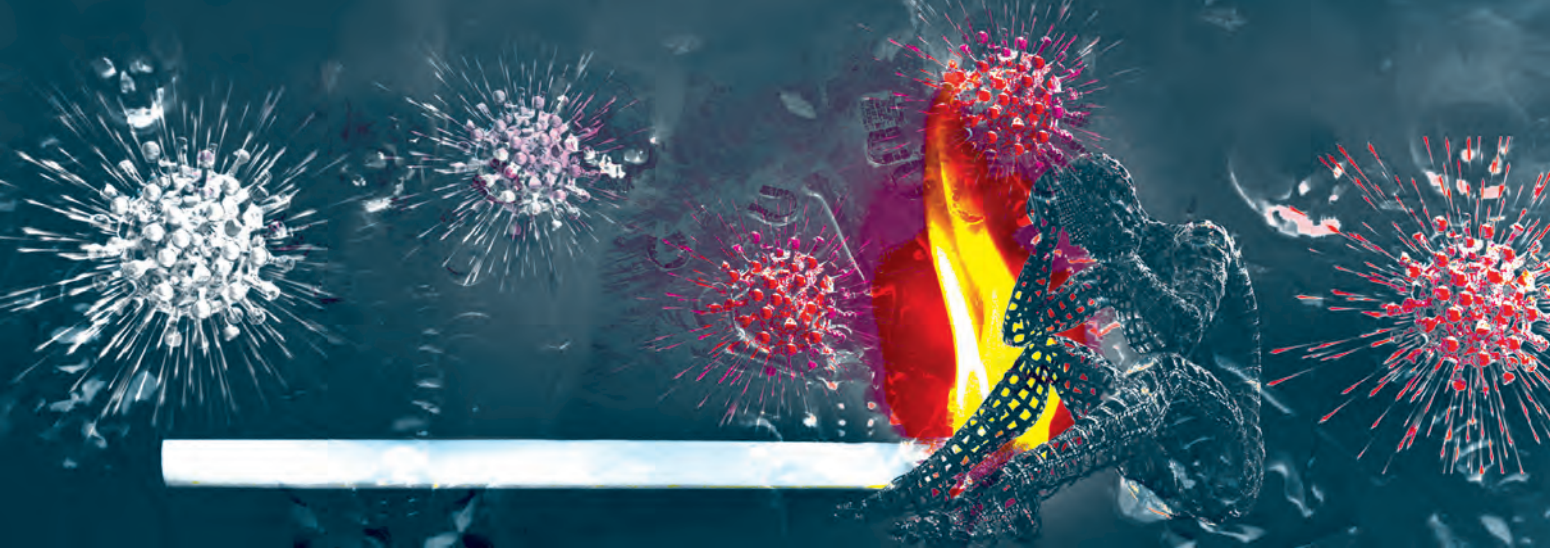
وقد ذكر ابن الوردي أنه عندما ضرب الطاعون بلاد الشام وحلب، ومعرة النعمان حيث مسقط رأسه، كتب بيتين من الشعر متحدياً الطاعون، قائلاً:

ولست أخاف طاعوناً كغيري

فما هو غير إحدى الحُسنين

فإن مِتْ استرحت من الأعادي

وإن عشت اشتفت أذني وعيني



للكاتبة الأمريكية "كاثرين آن بورتو"، تحدثت فيها عن وباء الإنفلونزا الأسبانية التي أصابت البشرية عام ١٩١٨م، وتسببت في هلاك قرابة خمسين مليون شخص، وخلفت وراءها خراباً جسيماً.. ومن ضمن أحداث الرواية، تكتشف البطلة إصابته بالحمى والإنفلونزا القاتلة، حيث يتحدث إليها صديقتها بنبرة حزينة قائلاً: "الأمر على أسوأ ما يكون، كل المسارح وتقريباً جميع المحال والمطاعم مغلقة، أما الشوارع فتعُص بالجنازات طيلة ساعات النهار، وتكتظ بسيارات الإسعاف طوال الليل".

كما استحضرت لنا الروائي اللبناني "ربيع جابر" في روايته "أميركا" صوراً قاسية لوباء الإنفلونزا الأسبانية، الذي عايشه العرب المهاجرون إلى أمريكا، حيث تمرّ يومياً سيارات تُنادي على الناس لإلقاء جثث موتاهم من الشبايبك بعد تفشي الموت بالإنفلونزا، إلى درجة يصعب معها دفن كل ميت في قبر خاص.

وتعتبر قصيدة "الكوليرا" من أروع قصائد الشاعرة العراقية "نازك الملائكة"، التي كتبتها عام ١٩٤٧م، لتُصور فيها مشاعرها نحو أهل مصر الذين أصابهم الكوليرا.. وفي قصيدتها نجحت "نازك" في التعبير عن وقع أرجل الخيول التي تجر العربات الحاملة لجثث الموتى الذين قتلتهم الكوليرا، قائلة:

صَرَخَاتٍ تَعْلُو، تَضْطَرُّبُ
حَزْنَ يَتَدَفَّقُ، يَلْتَهَبُ
يَتَعَثَّرُ فِيهِ صَدَى الْآهَاتِ
يَا حُزْنَ النَّيْلِ الصَّارِخِ مِمَّا فَعَلَ الْمَوْتُ
عَشْرَةَ أَمْوَاتٍ، عَشْرُونَ

لتتجلى عجائب القدر أن يموت ابن الوردى بعد يومين من كتابة قصيدته بداء الطاعون، لذا قيل إنه قام برثاء نفسه قبل الوقت، أو أنه استحس قرب أجله فترك مَراثيه. كما يُذكر أن "ابن حجر العسقلاني" مؤلف كتاب "بذل الماعون في فضل الطاعون"، قد فُجِعَ بفقدان بناته الثلاث "عالية وفاطمة وزين خاتون" بسبب الطاعون.

ومع نهايات القرن التاسع عشر، انتشر في بلاد الشام وباء الهواء الأصفر أو ما يُسمى بالكوليرا، فكتب الشاعر السوري "لويس صابونجي" قصيدته، جاء في مطلعها:

خُلِقْتُ بِأَرْضٍ قَدْ تَجَلَّتْ بِبَهْجَةٍ
سَقَاهَا إِلَهِي مِنْ فِرَاتٍ وَدَجَلَةٍ
بِلَادِ ثَوَاهَا "أَدَمٌ" بَعْدَ جَنَّةٍ
إِلَيْهَا انْتَمَى الْأَبْطَالُ فِي كُلِّ حَقْبَةٍ
وَلَدَتْ بِهَا فَوْراً عَلَى غَيْرِ مَوْعِدٍ
غَدَاةَ أَتَاهَا وَالسَّيِّدِي لِنَزْهَةٍ
بِشَهْرِ فِشَا فِيهَا الْوَبَاءُ مَوْلاً

وشاع انتشاراً في بلاد الجزيرة وكذلك حكى عميد الأدب العربي "طه حسين" في روايته "الأيام"، عن انتشار مرض الكوليرا في مسقط رأسه مطلع القرن العشرين، حيث وصف أحزان أهل بيته برحيل أخيه الطالب بكلية الطب، متأثراً بوباء الكوليرا. وقد ذكر الدكتور طه حسين في روايته، كيفية أن الكوليرا أبادت أسراً كاملة، وأتت على مدن وقرى فدمرتهم تدميراً.

وفي عام ١٩٣٩م صدرت رواية "حصان شاحب"



كانت ولا تزال الرواية والقصة والشعر
والمقامة الأدبية خير مُدونات لأوبئة الزمان،
حيث أخبرنا أدب الوباء عن كيفية تطبيق
أهل الماضي التليد للإجراءات الوقائية، لأجل
الحد من بطش الأمراض التي جلبت الخراب
الدامي لشتى بقاع الدنيا.

حراه

وفي عام ١٩٧٤م صدرت رواية "الطاعون" للكاتب
"البيير كامو" التي تحكي قصة طاعون يكتسح مدينة
وهران الجزائرية، حيث استنكر المؤلف خطورة
مشهد جثث الفئران النافقة والمتناثرة في الشوارع على
السكان.. كما تُصور الرواية حال المدينة التي تم إغلاقها
بشكل كامل لعدة أشهر، تزامناً مع جبروت الطاعون
المُسبب لهلاك الجانب الأعظم من سكانها، ويزخر
العمل بالكثير من أوجه التشابه مع أزمة كورونا التي
تمر بنا. ويُعتقد أن الرواية مبنية على جائحة الكوليرا
التي قتلت عدداً ضخماً من سكان وهران في عام
١٨٤٩م عقب الاستعمار الفرنسي.

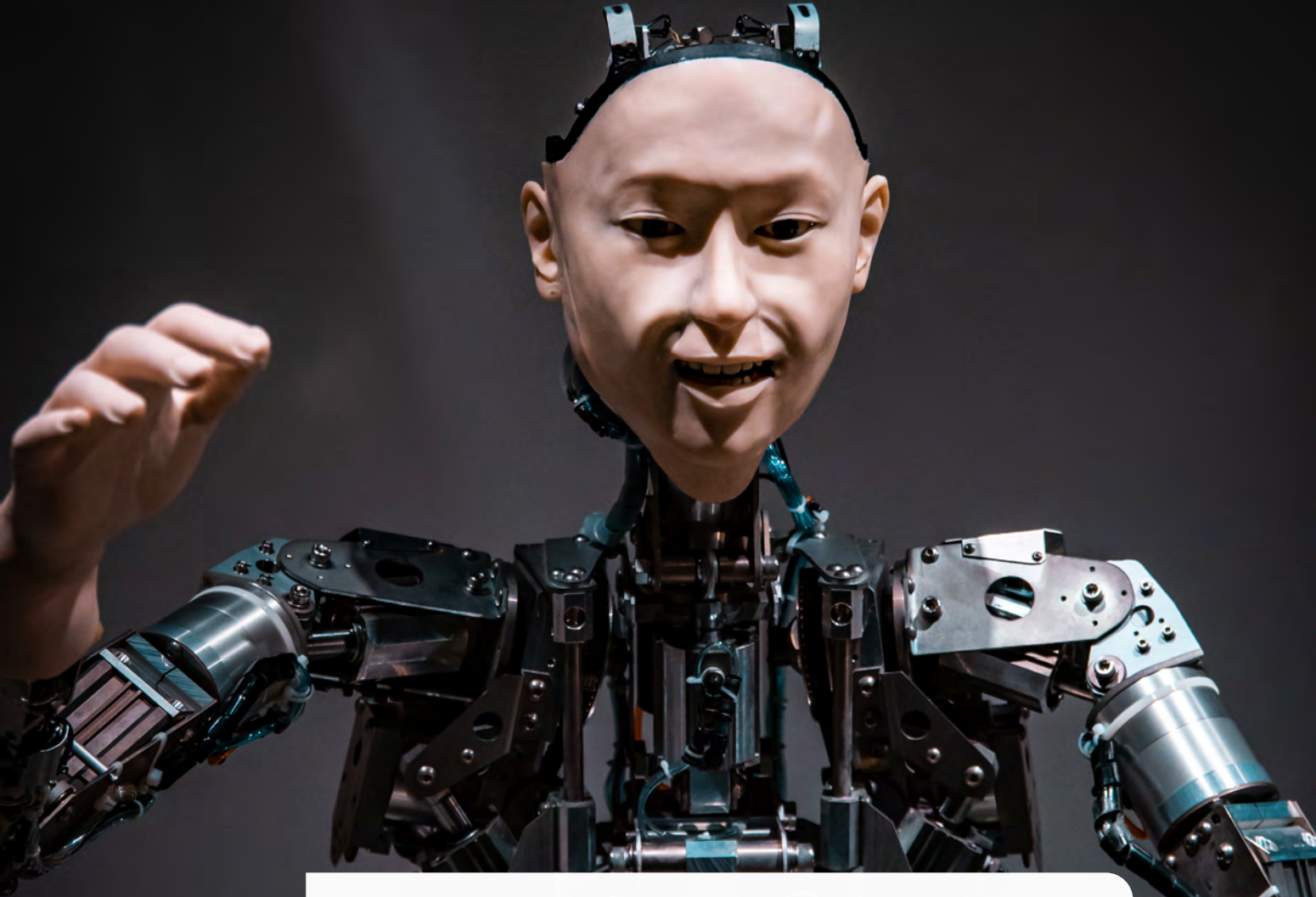
وهكذا كانت ولا تزال الرواية والقصة والشعر
والمقامة الأدبية خير مُدونات لأوبئة الزمان، حيث
أخبرنا أدب الوباء عن كيفية تطبيق أهل الماضي التليد
للإجراءات الوقائية، لأجل الحد من بطش الأمراض
التي جلبت الخراب الدامي لشتى بقاع الدنيا. ■

(*) كاتب وباحث مصري.

لا تُخصِّص أصيخ للباكِينا
اسمِعْ صوتَ الطِّفْلِ المسكين
مَوْتِي، مَوْتِي، ضاعَ العدَدُ
مَوْتِي، مَوْتِي، لم يَبْقَ عَدُ
في كُلِّ مكانٍ جَسَدٌ يندُبُه محزونٌ
في شخص الكوليرا القاسي ينتقم الموت
الصمتُ مريزٌ

لا شيء سوى رجوع التكبير
حتَّى حَفَّارَ القبرِ نَوَى لم يَبْقَ نَصِيرُ
الجماعُ مات مؤدُّهُ
الميتُ من سيؤنُّهُ
لم يبقَ سوى نوح وزفير
الطفلُ بلا أمَّ وأبٍ
يبكي من قلبٍ ملتهبٍ
وغداً لا شك سيلقُّهُ الداءُ الشريرُ
يا شَبَحَ الهيضة ما أبقيتُ
لا شيء سوى أحزان الموت
يا مصرُ شعوري مرَّقه ما فعل الموتُ

ومن أجمل الروايات التي وثقت الطاعون رواية
"دفتر أحوال عام الطاعون"، التي ألفها الكاتب الإنجليزي
"دانيال ديفو" عام ١٧٧٢م، بعدما هاجم الطاعون لندن عام
١٦٦٥م. وقد ذكر المؤلف أن السلطات المحلية بمدينة
لندن، طبقت وقتها تعليمات مشابهة لتلك التي تعاملنا بها
مع وباء كورونا، وذلك بمنع إقامة "كل الولائم العامة،
ووقف تقديم وجبات العشاء في الحانات، وغير ذلك
من الأماكن التي تشهد أنشطة ترفيهية يشارك فيها العامة،
لحين تطبيق نظام مختلف يُجيزها من جديد".



بين الإنسان والإنسال

كشفت العلماء عن تتابعات المركبات في جينوم واحد لعدد من الكائنات الأخرى، الأمر الذي طرح معه السؤال التالي: أي التتابعات في الجينوم البشري هي التي جعلت الإنسان إنساناً؟ واستتبع هذا التساؤل إعلان البعض عن مخاوفه من تأصيل بيولوجي للعنصرية، على أساس الكشف عن اختلاف في طبيعة الجينوم لدى السلالات المختلفة من البشر. كسرت الهندسة البيولوجية الحواجز بين الكائنات الحية، واستتبع ذلك طرح عدة أسئلة مثل: ماذا لو نقلنا جينات بشرية معينة إلى القردة؟ هل يمكن إكساب هذه القردة بعض صفات البشر؟

أى

الاستمتاع للمشاهد، بالتقنية العالية والمؤثرات الصوتية والحبكة الدرامية الخيالية.

ولا ننسى أيضًا أداء بطل الفيلم الرائع والقادر على تحريك جميع عضلاته - بما فيها عضلات وجهه - بمهارة عالية، مما يدفعك في النهاية للتعاطف الإنساني الكامل مع هذا الإنسال المعمر، الذي يتوفى مالكوه البشر العاديون ليحيا هو أكثر من مائتي عام وحيداً على كوكب البشر - سابقاً - وباحثاً عن حبه الأول للآدمية بنت البشر الصغيرة التي امتلكتها يوماً ما. لكنه في النهاية يتزوج من حفيدتها محققاً ذلك التزاوج الخيالي بين الإنسان والآلة، أو بالمعنى الآخر "الخلط بين الإنسان والإنسال".

يبدو أن هذه الرؤية الخيالية المستقبلية لم تكن مجرد تساؤلات أو استمتاع بالزوايا الفنية لإحدى روايات الخيال العلمي لدى العلماء والباحثين، الذين جاهدوا - وما زالوا حتى الآن - لتقديم ذلك الإنسال ذي المشاعر الإنسانية الذي سيزاحم الإنسان في المستقبل القريب.

ومنذ سنوات والأبحاث تجرى على قدم وساق في الولايات المتحدة واليابان وغيرها، للوصول إلى هذا الإنسال الذي تشير أهم وأكثر الدراسات جدية في مجال علوم المستقبل، إلى أنه سوف يكون هو المسؤول عن القيام بالمهارات الذهنية المعقدة في كبرى المؤسسات والشركات.

مظاهر أكثر دفئاً

أحدث المحاولات العلمية لتصنيع هذا الإنسال الحساس، قام بها علماء مركز أبحاث "فاندرملت" بجامعة ناشفيل الأمريكية في ولاية تينيسي. هؤلاء العلماء الذين عملوا لعدة سنوات على مشروع تطوير الإنسان الآلي الحالي، ليصبح إنساناً يستجيب ويتفاعل مع المشاعر الإنسانية.

ويؤكد مدير المشروع "نيلجان ساركر" أستاذ الهندسة الحسية، أن الدافع الأساسي وراء المشروع هو تطوير إمكانيات الإنسان الآلي الحالي، ليتمكن أن يتفاعل مع البشر، وأن يقرأ مشاعرهم الخفية وبالتالي يستطيع أن يحقق المطلوب تماماً دون جهد إضافي يبذله الإنسان

إذا انتقلنا إلى الاستنساخ، فمن المعروف أنه يعتمد على نقل نواة خلية جسمية من الكائن المطلوب استنساخه إلى بويضة أنثى بعد نزع مادتها الوراثية منها. وفي مجلة Nature Medicine نشر مقال كتبه "ري لانز" و"سبيلي وست"، أعلننا فيه أنهما تمكنا من نقل أنوية خلايا جسمية بشرية إلى بويضات منزوعة الأنوية مأخوذة من الأبقار، وأن الخلايا الناتجة تفلجت، ثم توقف تفلجها في مراحل مختلفة، وقد وصل عدد الخلايا الناتجة في الجنين الواحد إلى ٤٠٠ خلية كحد أقصى، وتم تنمية خلايا الجنين في أطباق زجاجية، ثم نتج عن ذلك خلايا تشبه خلايا الأساس.

المثير هنا، أن خلايا الأساس الناتجة، تحمل ميتوكوندريا أبقار أتت إليها من سيتوبلازم البويضة. وبالطبع فإن هذه الميتوكوندريا تحمل مادة وراثية DNA، وإذا ما استخدمت خلايا الأساس هذه لتكوين أنسجة بهدف نقلها إلى الإنسان بعد ذلك، فإن هذا يعني نقل صفات - وإن كانت ضئيلة جداً - من البقرة إلى الإنسان.

الإنسال معمر ولا يموت

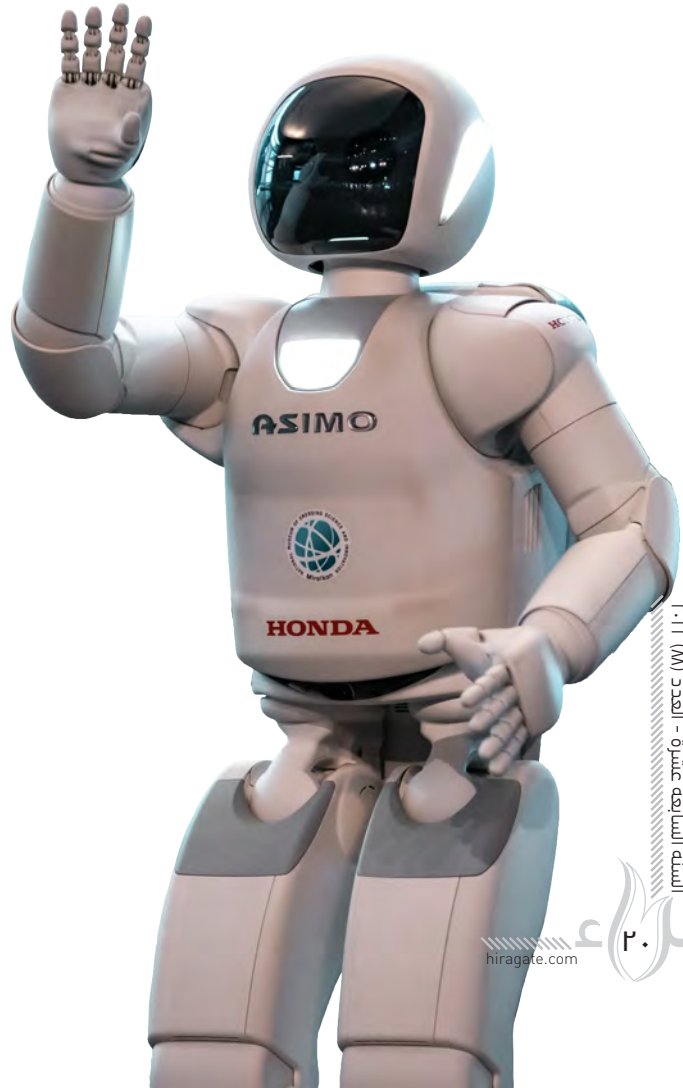
إذا كان الانزعاج تم بالفعل حول هذا الخلط بين كائنات حية بعضها ببعض عن طريق خلايا الأساس، فإن هناك خلطاً من نوع آخر سيتم بين الآلة الصماء والأحاسيس البشرية، لكن يبدو أن هذا الخلط سيكون أكثر حظاً من الخلط السابق، ومقبولاً إلى حد كبير. وإذا تم هذا الخلط بالفعل من خلال تقديم إنسال (روبوت متطور) آدمي معجزة، قادر على التفكير، ممتلك للوعي والذكاء، وأيضاً المهارات الشبيهة بالمهارات البشرية.. فماذا تحديداً سيكون دورنا نحن البشر على كوكب الأرض الذي تصارعنا لنهيمن على زمام أموره منذ أن وُضعنا عليه؟

إن مثل هذه التساؤلات الملحة وغيرها الكثير من التحليلات والأحاديث الذاتية، ستظل تلح عليك، إذا فكرت أن تشاهد فيلم روبن ويليامز مرة أخرى، ولكنك غالباً - ولكي تحسم الأمر في النهاية - ستقول إن الفيلم لم يعد سوى إغراق في الخيال العلمي، وأحد الشطحات الهوليودية المثيرة، التي لا قصد من ورائها سوى تحقيق

في شرح مشاعره، ولكي يتمكن أيضًا من إجراء حالة من التواصل الذهني دون حاجة إلى استخدام "ريموت كترول"، أو أي وسيلة تحكم من الإنسان.

ولتحقيق ذلك، فإن فريق المشروع يدرس بدقة جميع تعبيرات الوجوه البشرية المختلفة ولغة الجسد لمعرفة دلالاتها، ومن ثم تغذية الإنسال بها ليتفاعل معها قبل أن يطرح بدفء تلك الأسئلة الإنسانية، مثل: "هل تشعر بالملل الآن؟ ماذا يمكنني أن أفعل لأرفه عنك؟ هل أنت مرهق؟ ما رأيك في قليل من المساج؟ نعم أعرف أن هذه اللوحة لا تعجبك؟ هل تود أن نتنقل إلى لوحة أخرى؟

يضيف "ساركر" أن فريق العلماء اجتهد لمنح هذا الإنسال مظاهر أكثر دفئًا، وملامح أشبه بالإنسانية لكسر ذلك الحاجز النفسي بين الإنسان والإنسال بسبب هيئته المعدنية الباردة التي ميزته دومًا، بحيث يصبح بإمكانه أن يعطي تعبيرات تدل على الأسى والتعاطف، إذا ما لمس إنسان متوتر أو قلق، وذلك من



الإنسان والروبوت - وابتداءً من العدد (M) ٢٠

خلال قياس نسبة تعرق راحتي يد الإنسان أو ارتعاشها، أو معرفة معدل دقات قلبه.. ولهذا فإنه لم يكن غريبًا أن يستعين فريق المشروع بعالم في علم النفس هو "كريج سميث"، الذي حاول بصحبة "ساركر" أن يفك طلاسم التغيرات الفسيولوجية التي تطرأ على الإنسان وترتبط بحالته النفسية والمزاجية.

إنسال مدرك لوجود الإنسان

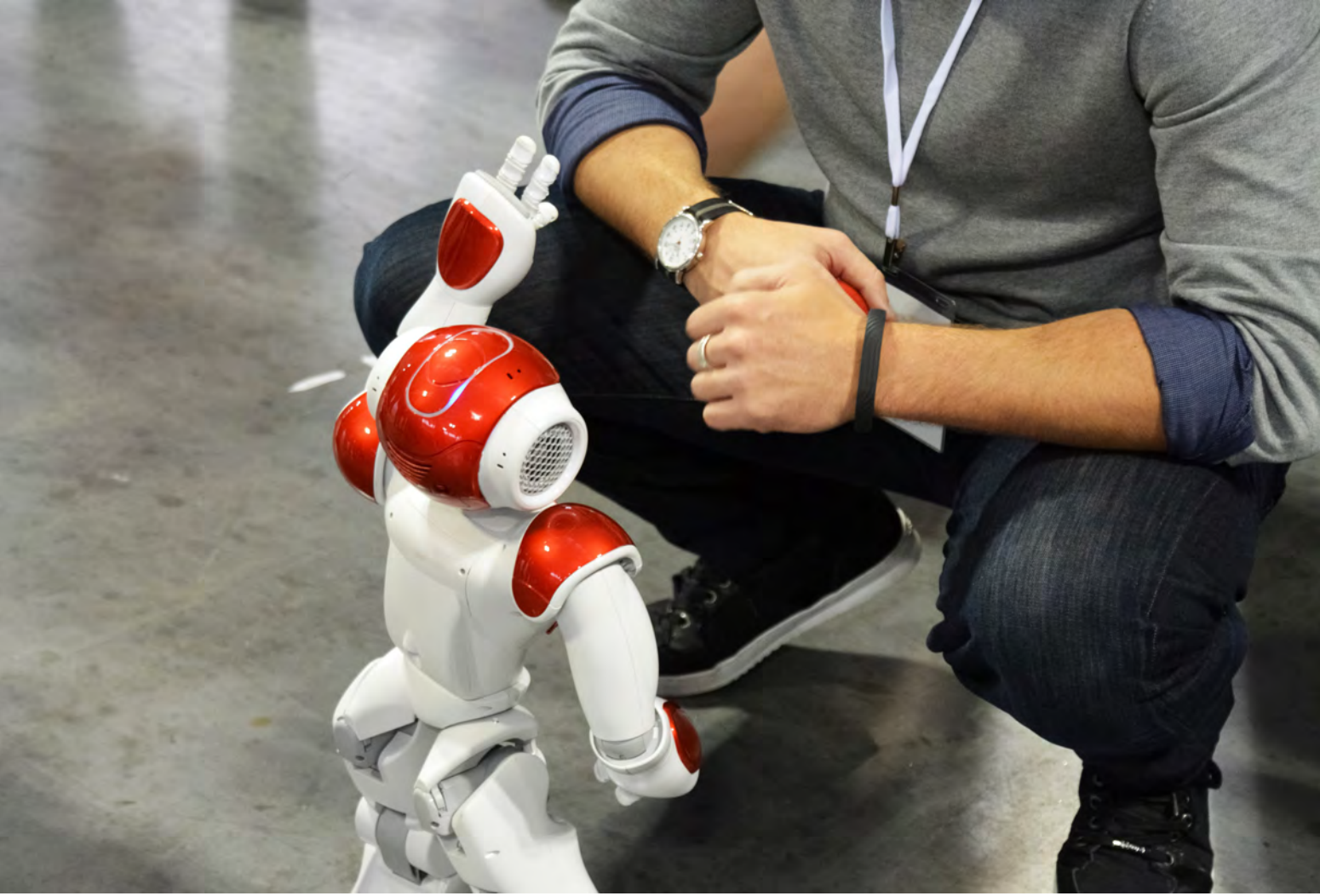
في سبيل هذا، كان لا بد من استخدام متطوعين من البشر تم توصيلهم بمجسات تقيس علامات التغيرات الفسيولوجية، ومنها ضربات القلب وحركات عضلة الوجه وعرق اليدين، ثم قاما بعد ذلك بتحليل بيانات هذه التغيرات وترجمتها إلى بيانات رقمية يمكن أن تستخدم من قبل الكمبيوتر.

كما تم تزويدها أيضًا من خلال روابط لاسلكية لإنسال صغير "أليف" كان يتجول بين المتطوعين، وكان هذا الإنسال المستقل بذاته، يقف أمام متطوع ما، ملقبًا عليه سؤالاً في غاية التهذيب وبأرق صوت يمكن أن يحمله إنسان آلي قائلاً: لماذا تشعر بالتوتر، هل يمكنني أن أساعدك؟ ما رأيك بلعب الشطرنج أو سماع أغنية هادئة؟

لقد أكد فريق المشروع أن النتائج كانت مذهلة، وأن المتطوعين بعد فترة شعروا بألفة مع هذا الإنسال الحساس والمهذب، وحاولوا أن يتجاهلوا كونه إنسانًا آليًا، بل إن بعضهم قد تعامل معه كصديق، وروى له تفاصيل حياته المعقدة.

وتؤكد "سيثا بريزيل" - أستاذة فنون الاتصال - أن علماء الإنسال يدركون تمامًا كم تبدو سخيفة وقاسية تلك التعبيرات الباردة التي يحملها الإنسال التقليدي، ولهذا فقد عملت مع فريقها على منح الإنسال الخاص بهم المسمى "أنيمون" بشرة شبيهة بشرة الإنسان، مع عضلات معدنية ليئة تحتها تُحرك تعبيرات وجهه بصورة أقرب إلى الصورة البشرية، ومنحه أيضًا صوتًا طبيعيًا يمكن من خلاله أن يعبر عن مدى قدرته على إدراك الوجود الإنساني من حوله.

إنه بالتأكيد إنسال مختلف قادر على أن يأسرك



الحزينة إذا ما لاحظت كاميراته الناشطة في مراقبة الإنسان أن وجهه يكتسي بعلامات الأسى أو التوتر. إنسال "تيري" مجهز بتسع مجسات تتحرك باستمرار وتعوضه عن فقدان حاستي اللمس والبصر وغيرهما، لذا ليس من المحتمل أن يصطدم بالحائط أو بصاحبه، حيث ستنبه مجساته على الفور، غير أن "تيري" وغيرها من علماء الإنسالات، يتشككون في موعد وصول مثل هذه الأنواع من الإنسالات إلى أرض الواقع، أو إلى التداول الواسع، حيث يرون أن الأمر قد يستغرق من ١٠ إلى ٤٠ عامًا. ■

ويخدعك بعد بضع دقائق من تعاملك معه. كما تؤكد "سينثا" التي تعمل حاليًا على إيجاد وسيلة ما لإخفاء مجساته البارزة التي يتحرك من خلالها ويتعرف على حدود المكان وشكل صاحبه. وإن كانت "سينثا" تستخدم هذه المجسات حاليًا في إصدار أصوات موسيقية مرحة فور أن تلمسها يد الإنسان، ولكنها تؤكد أنها في خلال شهور قادمة فقط، ستستطيع أن تجعل من إنسالها "أنيمون" منافسًا عنيدًا لممثلي مسرح بردواي، بتعبيرات وجهه الذكية والبارعة في الأداء، في حين أن الإنسال التقليدي سوف يكون موضعه المنتظر، العرض في متاحف التاريخ الطبيعي.

أيضًا صممت عالمة الإنسالات "تيري" إنسالًا يستطيع من خلال ملامحه وتعبيراته اللطيفة، أن يكسب مودة الإنسان وثقته، على الرغم من إدراكه التام أنه ليس سوى إنسال متعاون يحب أن يغسل الأطباق ويروي الزهور، ويدير الموسيقى لإضفاء البهجة على القلوب

^(٦) عميدة كلية العلوم والتكنولوجيا بالجامعة المصرية اليابانية.

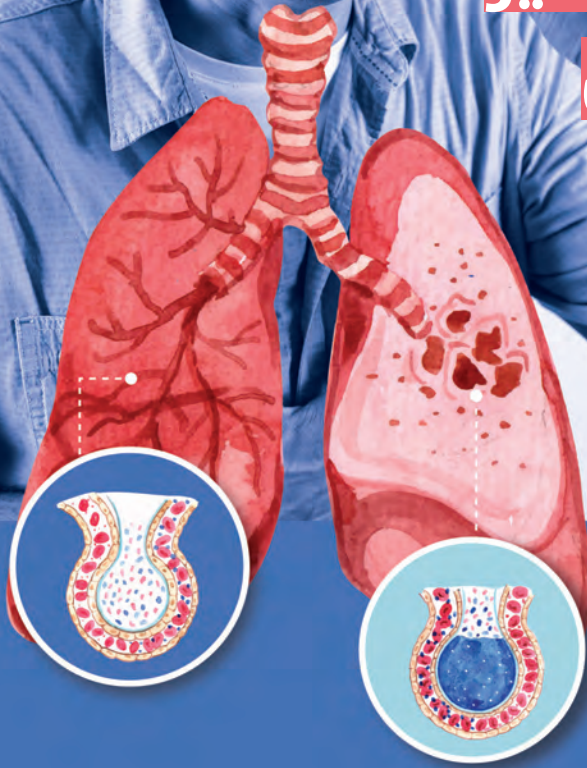
المراجع

^(١) Nature Medicine magazine – 9/ 2020.

^(٢) James Gleick, 2020 , Chaos , Making a New science , Penguin Books , New York.

^(٣) Keith L.moor , 2020 , Human development , pp 38,67.

مرض السل بين الأخطل الصغير وصاحب نوبل



السل أو التدرن الرئوي، مرض قديم الوجود جاء وصفه في أدبيات الطب منذ زمن أبو قراط. وشرح ابن قيم الجوزية طريقة العدوى بقوله: قد تصل رائحة العليل إلى الصحيح فتسقمه، ومع هذا فلا بد من وجود استعداد في البدن لقبول الداء. كما نبه علي بن العباس إلى صعوبة شفاء السل بسبب الحركة الدائمة للربة. ورد ذكر السل أيضًا في الأعمال الأدبية لكثرة شيوعه، ولعل أشهرها رواية "غادة الكاميليا" للروائي الفرنسي "ألكسندر دوماس" الكبير. أما في الأدب العربي فقد جاء توصيف المرض بشكل جيد في رواية "خان الخليلي" للروائي العالمي نجيب محفوظ. وقد انتقلت هذه الرواية إلى التلفزيون

يذكر أن مرض السل، يقتل أكثر من نصف مليون شخص سنويًا في إفريقيا، وفي موزمبيق، غير أن هذا الرقم ليس دقيقًا على نحو مطلق، وذلك بسبب وجود أشخاص مصابين بالمرض في المناطق النائية يصعب الوصول إليها لمعالجتهم.

حذاء

ب"المتفطرة الدرنية"، حيث تبتلعها الفطريات التنفسية (نتيجة السعال)، ويصل إلى الرئة حيث تبتلعها خلايا المناعة المتواجدة بكثرة في جدار الحويصلات الرئوية التي يطلق عليها اسم "البالعات الكبيرة". وتتجمع الخلايا الالتهابية حول البؤرة فتشكل حزمًا تمنع الجرثوم من الانتشار، وهذا ما يدعى ب"التدرن الأولي". ويبقى الجرثوم داخل هذه البؤرة ساكنًا، ولكن هذا لا يعني أنه ميت، فهو قد ينشط بعد سنوات طويلة، خاصة حينما تضعف مقاومة الجسم فيحدث الدرن ما بعد الأولي.

والذي قد يكون رئويًا أو خارج رئوي، وهنا قد ينتشر إلى الجهاز العصبي أو الجهاز البولي. ونسبة حدوث التدرن نتيجة نشاط الجراثيم الهاجعة يعادل ١٠٪ على مدى الحياة للشخص العادي.

كيف يعالج السل؟

لم يصبح السل مرضًا قاتلاً، إذ يتوافر اليوم العديد من الأدوية التي تستطيع القضاء عليه، مثل الإيزونيازيد، والريناميسين، والبيزازياسيد، والستربتوميسين، والإيتامبوتول، وهناك أنظمة علاجية مختلفة تتراوح فترة العلاج فيها بين ستة أشهر وستين.

ويتم متابعة العلاج بتكرار الفحوص، كما يجب الانتباه للتأثيرات الجانبية للأدوية بمتابعة الصبغة الدموية ووظائف الكلية والكبد وغيرها.

ولا يحتاج المريض إلى المكوث في المصححات لعزله عن الآخرين، لأنه بعد أسبوعين من بدء العلاج يصبح مادة غير قابلة للنقل للغير. ويؤدي استعمال الأدوية للشفاء بنسبة تفوق ٩٠٪، وقد أدى ذلك إلى تراجع كبير

والسينما، وهي لموظف بسيط يعيش في بيئة فقيرة مزدحمة بالسكان، ومحرومة من الخدمات، ويقضي جل أيامه في حانات الخمر والمخدرات واللهاو.. وحينما يثوب إلى رشده ويقرر الزواج، تنتابه أعراض شديدة من سعال مستمر ونفث للدم وحمى ونحول بالجسم. ويقرر الأطباء إصابته بالسل الرئوي. وبما أن الأدوية لم تكن متوفرة في ذلك الوقت، كانت الإصابة بالمرض تفضي إلى الموت في معظم الحالات. وهكذا يفصل الرجل من وظيفته، وتتخلى عنه خطيبته، ويرسل إلى مصحة بانتظار النهاية. أما في الشعر العربي، فالأعمال قليلة، وأشهرها قصيدة للأخطل الصغير؛ وهي تتحدث عن شاب يشبه كثيرًا في حياته وصفاته بطل "خان الخليلي"، وهو فوق ذلك متشرد يجوب البلاد بحثًا عن الرذيلة.

ويستمر الفتى على هذه الحال إلى أن يصاب بالسل الرئوي، فتصف القصيدة ما حل به من مرض ونحول:

يمشي بعَلَّتِهِ على مَهْلٍ

فَكَأَنَّهُ يَمْشِي عَلَى قَصْدٍ

وَيَمْجُ أحيانًا دَمًا، فعلى

مِنْدِيلِهِ قَطْعٌ مِنَ الكَبِدِ

قَطْعٌ تَابِينٌ مُفَجَّعَةٌ

مَكْتُوبَةٌ بِدَمٍ بِغَيْرِ يَدٍ

قَطْعٌ تَقُولُ لَهُ: تَمَوْتُ غَدًا

وإذا ترقَّ، تقولُ ك بعدَ غَدٍ

أعراض التدرن

نجح الشاعر، كما نجح الروائي في وصف الصورة السريرية، للتدرن الرئوي، وهي تتألف من عنصرين، عنصر جهازي، والآخر رئوي.

العنصر الجهازي يشمل الحمى والتعرق الليلي، ونقص الشهية والنحول والتعب العام، وهذا يشاهد في كل أشكال الإصابة بالتدرين، سواء كان في الرئة أم خارجها.

أما العنصر الرئوي فيشمل السعال الشديد الذي يبدأ جافًا، ثم يرافقه قشع مدمي به خيوط في الدم، وقد يصبق المريض دمًا خالصًا.

سبب التدرن هو جرثوم عصوي الشكل يدعى

في نسبة انتشار المرض على مدى العقود الماضية، ولكن مشكلة كبيرة بدأت بالظهور من أواسط الثمانينيات.

التدرن والإيدز

فقد شهدت فترة الثمانينيات وما تلاها، ازدياداً مفاجئاً في حدوث السل، بسبب ظهور مرض نقص المناعة المكتسب (الإيدز)، لأن مريض الإيدز صاحب المناعة المنهارة، فريسة للإصابة بالسل. وتصل هذه النسبة إلى ٧٪ سنوياً. ويرافق ذلك أيضاً ظهور سلالات جديدة من جراثيم السل مقاومة للأدوية المعروفة.

ولو كانت قصيدة الأخطل الصغير قد كتبت هذه الأيام، لكان من المنطقي القول بأن الشباب قد أصيب بالإيدز من خلال العدوي الجنسية، وأن انهيار المناعة بعد ذلك أدى للإصابة بالسل.

ومن الحب ما قتل

لم يصف الشاعر تفاصيل رصد السل من أجل الثقافة الطبية، ولكنه رمى إلى إعطاء الدرس والعبرة. وإن الحياة "اللاهية" تنتهي بتلك النهاية التعيسة:

مات الفتى فأقيم في جدث

مستوحش الأرجاء منفرد

هذا قتيل هوى بنت هوى

وإذا مررت بأختها فحد

أفريقيا والسل

دعت منظمة الصحة العالمية إلى "إجراءات استثنائية عاجلة" للوقاية من كارثة انتشار مرض السل في القارة الإفريقية. وقالت إن الأمر ينذر فعلاً بالخطر، لا سيما أن أكثر من نصف مليون أفريقي يلقون حتفهم كل عام بسبب المرض. والغريب فعلاً أن هؤلاء يتلقون يومياً العلاج الضروري الملائم.

وقالت اللجنة الإقليمية لمنظمة الصحة العالمية في أفريقيا في ختام اجتماعها بالعاصمة الموزمبيقية مابوتو، إن "الوباء اتخذ مدى غير مسبوق" في القارة السمراء بسبب تلازم مرضى الإيدز والسل. ففي ١٥ سنة تضاعف عدد المرضى أربع مرات في ١٨ دولة، ليلج قرابة ٢,٤ مليون شخص.

وتأتي في مقدمة الدول المهتدة، كل من كينيا

ومالوي، ولذلك دعت المنظمة المجتمع الدولي إلى اتخاذ "عدد من الإجراءات الخاصة"، مثل تدريب مرضيين محليين ودعم عمليات اكتشاف الحالات، من خلال حملات الفحص الدوري وتطوير عمليات الشراكة بين القطاعين الخاص والعمومي.

وينتشر مرض السل عن طريق البكتيريا الموجودة في الهواء، والتي تدخل الجهاز التنفسي وتتسبب في أمراض رئوية مزمنة. وليس بالضرورة أن يصاب الأشخاص الذين يحملون هذه البكتيريا بمرض السل، غير أنهم يساعدون وبشكل كبير في نقل المرض.

ولم يتمكن العلماء حتى الآن من اكتشاف عقار جديد لهذا المرض الذي ينتشر وبشكل كبير بين مرضى الإيدز، حيث إن ثمانية ملايين إنسان في إفريقيا، يحملون في الوقت ذاته فيروس الإيدز بالإضافة إلى بكتيريا السل.

ويذكر أن مرض السل، يقتل أكثر من نصف مليون شخص سنوياً في إفريقيا، وفي موزمبيق، غير أن هذا الرقم ليس دقيقاً على نحو مطلق، وذلك بسبب وجود أشخاص مصابين بالمرض في المناطق النائية يصعب الوصول إليها لمعالجتهم.

اختيار جديد ينقذ الملايين

إن اختباراً تشخيصياً جديداً للكشف عن الإصابة النشطة بالسل (الدرن)، يبشر بإحداث طفرة علمية يمكنها أن تؤدي إلى إنقاذ الملايين. وقد حاز هذا الاختبار الذي طورته كلية الطب الملكية في لندن، على جائزة الابتكار الطبي.

يعتمد الاختبار الجديد، على عمل مزرعة لعينات في سائل معين، وتحليلها باستخدام ميكروسكوب معقد، بما يؤدي للكشف عن بكتيريا السل في غضون أيام وليس أسابيع.

يذكر أن السل هو أكبر مرض معدٍ قاتل قابل للعلاج في العالم، متفوقاً على فيروس كورونا المستجد الذي يحصد أرواح آلاف الأشخاص يومياً. وإذا لم يعالج السل، فإنه يؤدي إلى وفاة قرابة ٧٠٪ من المصابين به، وبالإمكان أن يصيب شخص واحد لديه عدوى السل النشط ما بين عشرة وخمسة عشر شخصاً في العام.

"الأمر يشبه تمامًا ما أحرزه الكسندر فليمينج باكتشافه البنسلين العام ١٩٢٨".

ويضيف "بول سامر فيلد" من إحدى الهيئات الخيرية للتوعية من الدرن إنه يشعر "بسعادة بالغة" لأبناء هذا الاختبار الجديد، وإن كان يلزم المزيد من التمويل لتطويره قدمًا. ويتابع: "رغم أن هذا المرض يقتل الملايين كل عام، إلا أننا نستخدم أدوية طورناها قبل أربعين عامًا، واختبارًا تشخيصيًا تم تطويره في ثمانينات القرن التاسع عشر". ■

٢٠ باحثة وكاتبة مغربية.

المراجع

- (١) Jindal, (2019). Textbook of Pulmonary and Critical Care Medicine. New Delhi: Jaypee Brothers Medical Publishers.
- (٢) Amicosante, M; Ciccozzi, M; Markova, R (2020). "Rational use of immunodiagnostic tools for tuberculosis infection: guidelines and cost effectiveness studies". The new microbiologica.
- (٣) Bibbins-Domingo, Kirsten; Grossman, David C.; Curry, Susan J.; Bauman, Linda; Davidson, Karina W.; Epling, John W.; Garcia, Francisco A.R.; Herzstein, Jessica; Kemper, Alex R.; Kriš, Alex H.; Kurth, Ann E.; Landefeld, C. Seth; Mangione, Carol M.; Phillips, William R.; Phipps, Maureen G.; Pignone, Michael P. (2018). "Screening for Latent Tuberculosis Infection in Adults". JAMA.

وقد تزايدت حالات الإصابة في بريطانيا بواقع ٢٥٪ على مدار الأعوام العشرة الماضية.

وبالإضافة للتعرف على بكتيريا السل بشكل أسرع، يمكن الاختبار الجديد الأطباء من إضافة أدوية عدة إلى الوسط السائل لمزرعة العينة، لتحديد أيها أكثر فاعلية في القضاء على المرض.

يعد هذا الأمر ذا أهمية خاصة نظرًا لظهور سلالات من السل مقاومة للعلاج الدوائي المتعدد. يقول الدكتور "ديفيد مور" الذي طور الاختبار: "يموت قرابة مليوني شخص في العالم من السل، وأغلبهم بسبب الافتقار إلى الوسائل التشخيصية المناسبة". ويضيف: "إنها مأساة، لأن المرض قابل للعلاج بالكامل".

يذكر أن هذا الاختبار الذي يتم حاليًا تطويره في "ليما بيرو"، تفوق على منافسة ١٢٠٠ ابتكار مماثل، فائزًا بالجائزة الكبرى للابتكار الطبي للعام ٢٠١٩.

وقد اختارت لجنة التحكيم التي ترأسها البروفيسورة "سالي ديفيز" مديرة البحوث والتطوير بوزارة الصحة البريطانية، اختبار الدكتور "مور" لبساطته، ولما يحمله من آفاق واعدة في علاج السل على المستوى العالمي. يقول الدكتور "أندي جولدبرج" مبتكر الجائزة الطبية:





لغز الزائدة الدودية ودعمها للمناعة الطبيعية

أطلق اسم الزائدة على هذا العضو ظناً بعدم حاجة الجسم له. واقترن باسم الدودية لأن شكله يشبه الدودة. ولا شك أن كل الأشخاص الذين خضعوا لعملية إزالة الزائدة



الدودية، يعرفون جيداً أنه يمكنهم العيش بشكل عادي من دونها. العديد من الكتب النصية يشير إلى أن الزائدة الدودية ليست أكثر من عضو أثري، وأنها بدون فائدة عند البشر، ولعقود طويلة ترسخ هذا الاعتقاد بأنها مجرد زائدة لحمية ليس لديها أي دور في وظائف الجسم. ولقد خرجت أبحاث جديدة واكتشافات مدهشة ترى غير ذلك تماماً، ففي عام ٢٠٠٧، لاحظ الباحثون في المركز الطبي في جامعة دوك في

أكدت أبحاث العلماء أن للزائدة الدودية أهمية كبرى، فهي في الواقع منطقة تخزين للبكتيريا المعوية المفيدة، وأنها تصنع الخلايا المناعية التي هي بروتينات تحمي الجسم من اعتداءات الميكروبات والبكتيريا.

حذاء

البشر، ناتج عن التغييرات في نظامنا الغذائي على مدى آلاف السنين". كما يؤكد علماء آخرون أيضاً أن الزائدة الدودية كانت تلعب دوراً عند أسلافنا بتشجيعها لهضم النباتات. لكن من ناحية أخرى، فإن الزائدة ليست موجودة عند أغلب الثدييات ما عدا آكلات الأعشاب. هذه النظرية تركت مجالاً للظن أن الأنواع التي تمتلك زائدة دودية كبيرة، ستجد نفسها ذات يوم في موقف مشابه للإنسان إذا تغير نظامها الغذائي بشكل جذري، وإذا حدث هذا للكوالا فهناك احتمال أن تصاب بالتهاب الزائدة الدودية مثلها مثل البشر.

هذا هو النهج الذي توصل إليه الباحثون في جامعة الغرب الأوسط الأمريكية. أما في دراسة نشرت في المجلة العلمية الفرنسية العام الماضي ٢٠١٧، فقد قام علماء بدراسة التطور لدى ٥٣٣ نوعاً من الثدييات على مدى مليون سنة، للعثور على النقاط التي ظهرت فيها الزائدة الدودية كصفة جديدة أو اختفت تماماً. وقد كان الباحثون يتوقعون أن يروها تتطور لأوقات قليلة جداً من الزمن تم تختفي بانتظام، ولكنهم لم يجدوا ذلك، ووجدوا بدلاً منه ما يبدو أن الزائدة الدودية تطورت بين ٢٩ إلى ٤١ مرة، لكنها اختفت ١٢ مرة فقط.

جاءت تلك النظرية الرائدة لتقول بأن الزائدة الدودية تدعم الجهاز المناعي، كما جاءت الدراسة التي قام العلماء الأمريكيون لتدعم ذلك، حيث أينما وجدوا الزائدة الدودية وجدوا معها أنسجة ليمفاوية وهي جزء أساسي من الجهاز المناعي. وقد تبين للعلماء أنه خلال القرون الماضية كانت هناك مناطق بكاملها توفي سكانها بوباء الكوليرا، وقد ساعدت الزائدة الدودية على إنقاذ بعض الناس من خلال ما كانت تخترنه من احتياطي

كارولينا الشمالية، وعلى رأسهم الجراح البروفيسور "وليام باركر"، أن الزائدة الدودية لدى البشر هي نمو زائد صغير في الأمعاء الغليظة، وأنها جزء تابع للجهاز الهضمي عبارة عن جيب طوله يتراوح بين ٥-١٢ سنتيمتراً، ارتبط منذ مدة طويلة بالتهاب شهير سمي "التهاب الزائدة الدودية".

ولأن العلم لا يترك شيئاً على سجيته من دون بحث وتمحيص، حدث منذ بداية الألفية الثالثة أن أجريت الأبحاث، وبدأت الاكتشافات تتوالى حول نظرية هذا العضو اللغز-الذي رغم شهرته- بعدم فائدته للجسم البشري، إلا أنه إذا التهاب حد الانفجار، قد يودي بحياة الإنسان إن لم يتم التدخل الجراحي السريع لاستئصاله. ولذا قام العلماء بتطوير النظرية الخاصة بوظيفته وأهميته، وذلك في جامعة "داك" في شمال ولاية "كارولينا" الأمريكية، ونشرت في صحيفة علم الأحياء النظرية فأحدثت جدلاً واسعاً في الوسط العلمي.

أكدت أبحاث العلماء أن لهذا العضو أهمية كبرى، فهو في الواقع منطقة تخزين للبكتيريا المعوية المفيدة، وأنه يصنع الخلايا المناعية التي هي بروتينات تحمي الجسم من اعتداءات الميكروبات والبكتيريا. فالزائدة الدودية -إذن تعمل- كخزان للبكتيريا المعوية المفيدة، وهذا الخزان ينشط بعد إصابة خطيرة بالكوليرا أو الدوسنتاريا، وهما مرضان يمكن أن يقضيا على البكتيريا المفيدة في الأمعاء.

منظم بيئي ثمين

الزائدة الدودية -إذن- هي منظم بيئي ثمين يحتوي على آلاف البكتيريا المفيدة للهضم، وقد اكتشف العلماء ذلك عن طريق فحصها عند حيوانات الكوالا، حيث لديها زائدة دودية أيضاً ولكنها طويلة جداً، ويمكن مقارنتها وظيفياً بما لدى البشر، وهي مفيدة جداً لنظام الكوالا الغذائي المؤلف تقريباً من أوراق الأوكالبتوس. ومن ثم فإن الزائدة البشرية تعمل بطريقة مشابهة لدورها عند الكوالا، لكن البروفيسور "فارداكسيس" لا يعتقد أن الزائدة عند الكوالا ستصغر أو تنقلص عن حجمها في وقت قريب، ويقول: "إن حجم الزائدة الصغير عند

hiragate.com



الجيب، وعندما يتفاجم الانسداد بتكاثر بكتيري تصبح الزائدة متفخة وملتهبة وملينة بالصديد، ثم تأخذ الأعراض التالية في الظهور: ألم يبدأ حول السرة، ثم يتحرك باتجاه الربع البطني السفلي الأيمن عند نهاية ثلث المسافة بين السرة وعظمة الحوض، حيث يصبح الألم متواصلًا ومحددًا. ويسوء بالحركة أو التنفس العميق أو الكحة أو العطس، أو المشي أو حتى لمس مكان الألم - الغثيان والتقيؤ - حمى منخفضة تبدأ عقب ظهور الأعراض السابقة، وعادة إمساك وعدم القدرة على إخراج الغازات - إسهال - ثم حدوث انتفاخ في البطن وهي آخر علامة من علامات الإصابة يلاحظها المصاب.

هناك إجراءات عامة يجب اتخاذها عند التشخيص تشمل: فحص الدم الذي يوضح ارتفاعاً في عدد الكريات البيضاء، وتحليل البول لاستبعاد وجود التهاب في الجهاز البولي الذي يشابه في أعراضه أعراض التهاب الزائدة الدودية. أما إذا كان التشخيص غير يقيني، ينصح بأخذ درجات الحرارة كل ساعتين وتدوينها.

ولأن التهاب الزائدة الدودية صعب التشخيص، فإن الجراحة يتم تأجيلها حتى تتطور الأعراض إلى درجة تسمح بتأكيد التشخيص، وحتى عند تكوين الصديد فإن الجراحة قد يتم تأجيلها حتى يتم سحب الصديد وإعطاء فرصة للشفاء، مع الراحة على السرير أو الكرسي حتى إجراء العملية.

كما ينصح بعدم أخذ أي مسهلات أو حقن شرجية أو مسكنات للألم أو مسهلات؛ فقد تسبب انفجار الزائدة الدودية، كما أن المسكنات وخافضات الحرارة تصعب من عملية التشخيص.

إلا أن مسكنات الألم تعطى بعد إجراء العملية الجراحية فقط، مع إعطاء مضادات حيوية إذا وجد تلوث جرثومي، ويمكن مزاولة النشاطات الاعتيادية تدريجياً بعد العملية.

وبالطبع عند عدم استجابة المريض لهذه العلاجات، أو إذا ساءت حالته ولم يتم التدخل الجراحي، فإن ذلك سيؤدي إلى مضاعفات خطيرة وتكوين الصديد

والتهاب الغشاء البريتوني.. وإذا تم إهمال الحالة فإن ذلك سيؤدي إلى الوفاة.

هذا وقد نجح جراحون في مستشفى أوسترا في يوتيبوري بالسويد، في استئصال زائدة دودية لدى سيدة في الثلاثين من العمر دون اللجوء إلى المشرط الجراحي. وتم سحب الزائدة الدودية من فم المريضة عبر استخدام تقنية استئصال الزائدة من دون جراحة، باستخدام المنظار عبر الجهاز الهضمي؛ ويتم إدخال أنبوب به كاميرا وأدوات دقيقة جداً يتم خلالها المرور عبر الجهاز الهضمي والأمعاء الدقيقة والغليظة، وصولاً إلى الزائدة. وتعتبر تقنية الجراحة عبر مناظير الجهاز الهضمي من التقنيات الفريدة التي يتم استخدامها بنجاح. ■

*) أستاذ جراحة التجميل المتفرغ والعميد الأسبق لكلية طب الإسكندرية / مصر.

المراجع

(1) Golalipour M.J.؛ Arya B.؛ Jahanshahi M.؛ Azarhoosh * R. (2017). "Anatomical Variations Of Vermiform Appendix In South-East Caspian Sea (Gorgan-IRAN)" (PDF). J. Anat. Soc. India.

(2) Paterson-Brown, S. (2007). "15. The acute abdomen and intestinal obstruction". In Parks, Rowan W.؛ Garden, O. James؛ Carter, David John؛ Bradbury, Andrew W.؛ Forsythe, John L. R. Principles and practice of surgery th. Edinburgh: Churchill Livingstone.(2016).

مفتاح السعادة

رأسها.. أوحى الجو بمطر قريب، اجتهد المارة في السير هرباً، لكنها على عكسهم أبطأت خطواتها؛ لم تحب مثل المطر يوماً، أن تسير تحت قطراته وأن تنسدل خيوطه فوق جبينها كأنها سلاسل ذهبية تزين صفحة وجهها.. تسعد كثيراً بتناثر حبات الماء على كتفيها وحين تتعانق ذرات الرذاذ حول جسدها النحيف.

كانت تتأمل فيمن حولها، الجميع يهرب.. كانت تتعجب منهم كثيراً كيف يهربون من الخير، كيف يشعر الإنسان بعظمة الخالق إن لم ير ذلك المشهد بل ينغمس فيه؛ حين تعانق صفحة السماء أكوام من السحاب ليخرج منها وابل طيب يصيب الأرض بخير وفير!

تحت قطرات المطر سارت نحو مكان واسع كان يُحيطه بعض البنايات القديمة يتوسطها حديقة ذات حشائش ذابلة.. رأت تلك الحشائش تبتهج فرحاً بالقطرات التي ستعيد إليها نضارتها.. كانت تعشق ذلك المنظر حين تغازل قطرات المطر أوراق الأشجار لتملأها بالبهجة، فيتحول لونها إلى الأخضر الزاهي تحت ضوء

ب
بخطوات مسرعة سارت بين زحام كثيف تتلاحم فيه أجساد البشر، كانت تتخطى الجميع بسهولة ورشاقة، ساعدها على ذلك جسدها النحيف وعودها الفارع، رغم نحافة جسدها إلا أن قوامها حاد وهيئتها رياضية، نظرتها حادة يتخللها حياء ساكن، وخطواتها سريعة تحاول أن تسابق بها الزمن.

اسمها سارة.. ربما كان لها النصيب الأكبر من ذلك الاسم؛ كان كل شيء يسرّها حقاً، كانت تبحث بعناية عن قطرات السعادة وسط أمواج الحزن المتدفق من بحر الحياة، دوماً كانت تسعى لإسعاد نفسها وغيرها.. كثيراً ما كانت تحب التجول في الطرقات، تتأمل في عيون المارة، وتتبسم في وجوههم رغم الكآبة التي كانت تعلو الكثير من تلك الوجوه.. كان في اعتقادها أن تلك الابتسامة ربما تخفف عنهم بعض عناء الحياة. كانت تسير في ذلك اليوم في نشاطها المعتاد، فجأة بهت نور الشمس وحلّ مكانه ظل طارئ من أثر الغيوم التي ملأت السماء، بل صنعت تحتها غطاءً شاسعاً. رعدت السماء وهبت ريح باردة أطارت خصلات شعرها حول

النهار.. لم تجد أحداً سواها يسير تحت المطر.. فتحت ذراعها مبتسمة كأنها طائر يريد التحليق في فضاء السماء. جذب سمعها صوت خافت يبدو أنين طفل صغير.. تتبععت الصوت فإذا هو منبعث من إحدى الزوايا خلف جدار إحدى البنايات.. اقتربت منه مع تسارع دقات قلبها.. لم يكن يؤرقها يوماً مثل بكاء الأطفال.. وصلت إليه ودققت نظرها، فإذا هو طفل صغير قد انكمش على نفسه في وضع الجلوس واضعاً رأسه على ركبتيه وبين يديه محاولاً الاحتماء من غزارة الأمطار.. لكن رذاذ الماء كان يغرقه رغم التصاق ظهره بالحائط وراه.. لم يجد مفراً آخر يلجأ إليه، فلجأ إلى البكاء علّه يجد فيه دفئاً لجسده المرتعش أو سلوى لقلبه الحزين.. تأملته سارة جيداً؛ حاله يرثى له، للمرة الأولى شعرت بقسوة المطر.. اقتربت أكثر من الصبي، توقفت أمامه ثم نزلت إلى الأرض مستندة إلى ركبتيها، مدت يدها إليه، انفض جسد الصبي ذعراً حين لامست يدها كتفه.. أخرج رأسه من بين ذراعيه، المياه تنحدر عليها بغزارة، نظر إليها بعينين خائفتين، جسده ينتفض وأنامله ترتعش خوفاً وبرداً.. ملابس ممزقة وقدماه حافيتان قد غطتهما الأوساخ.. لم يستطع لسانه البوح بكلمة واحدة، لكن نظراته كانت تنطق بمئات الكلمات.. حاولت أن تداري ألم قلبها، تلك المرة صنعت ابتسامتها بصعوبة لتطمئن الصبي، نطقت بصوت حانٍ غلبته الشفقة: "أنا سارة".

لم يرد الصبي عليها.. ما زال الخوف مسيطراً عليه، مدت يدها لتمسك بيده لكنه لم يستجب لها فسحب يده وخبأها وراء ظهره.. تنهدت قليلاً واقتربت منه أكثر، زادت ابتسامتها اتساعاً.. الأمطار ما زالت تنحدر عليهما بشدة، تعرف أن مثل هذا الصبي لم يجد من يأخذ بيده يوماً، لذا فالخوف أمر معتاد لديه.. نطقت بمزيد من الكلمات علّها تطمئنه أكثر: "لا تخف مني أريد مساعدتك".

هدأ أنين الطفل قليلاً، استسلم لها، ترك لها يديه فأطبقت عليهما بيديها بقوة.. شعر الصبي بدفء يسري في أوصاله رغم برودة يديها مثله، لكن صدقها ودفء مشاعرها كان مصدر تلك الحرارة.. أرادت أن تبعث مزيداً من الطمأنينة في قلبه فاقترحت عليه اقتراحاً طفولياً:

- ما رأيك أن نتسابق سوياً إلى مدخل تلك البناية

الكبيرة ومن سيسبق منا سيفوز بقطعة من الحلوى. نظر إليها الصبي خوفاً، فالاختباء من المطر في مدخل أحد البنايات قد خطر بباله بالتأكيد، لكن عقاب الحراس كان يخيفه بشدة، فمثله لا يكون مرحباً به في أي مكان.. قرأت سارة ما يدور في خلدته فأرادت أن تقطع عليه مخاوفه: "لا تخف، لي أقارب هناك ولن يؤذينا أحد".

زال الوجع من وجه الصبي وانفجرت أساريره قليلاً.. قام معها وتشبث بيديها، تحت خيوط المطر تسابقاً سوياً إلى مدخل البناية.. علّت الضحكات وجهيهما.. شعر الصبي بسعادة تلمس قلبه على غير العادة.. أيضاً كان بعض من الأمان يدفع جسده النحيل، يعلم أن هذه السعادة وهذا الأمان سرعان ما سيزولان، لكنه يحاول أن يستمتع بتلك اللحظة قدر الإمكان.. للمرة الأولى تمنى قلبه ألا ينتهي المطر حتى لا تنتهي رفقته.. وصلاً لمدخل البناية سوياً، لم يكن هناك حارساً لها.. دخلاً إلى رواق واسع، وجداً سلفاً عريضاً فجلسا عليه متلاصقين.. نزع وت شاح كتفيها ووضعته على كتفيه، تبسم في وجهها أكثر.. للمرة الأولى ترى سارة ابتسامة كذلك؛ كانت بريئة للغاية، تطفو فوق سطح بحر من الآلام وتخرج من بين أسنان غطتها الأدران وشفاه شققها قسوة الأيام.

تهللت أساريرها لبسمة، وأخرجت من حقيبتها قطعة من الحلوى، أرادت أن تعطيها كلها له، لكنها أحبت أن تعيش معه تلك اللحظة فقررت مشاركته فيها، قسمتها نصفين وأعطت له إحداهما.. تناولها بأنامله الرقيقة ودون تردد انكب يأكلها بنهم شديد.. بدأت تتناول نصيبها معه، تشابكت أيديهما الأخرى، شعرا بتقارب طفولي يسري بينهما.. رأت في وجهه سعادة كانت تظن أنها غير موجودة في هذا العالم، أخذت تضاحكه فتشعر بأن ضحكته أنهار من النور تندفق لتمحو ظلام الدنيا وكآبتها.. للمرة الأولى تعلم بأن هناك أطناناً من السعادة بين شفاه الأطفال وحول أنامل المحرومين.. علمت حينها أن فرحة قلبها يمكن أن تشتعل بإسعاد غيرها دون انطفاء، ويمكن أن تعيش أجمل لحظاتها حين تدخل السرور على من لم يجد إليه سبيلاً. ■

(*) كاتب وقاص وباحث تربوي / مصر.

دمائة الخلق

آداب السلوك والمعاشرة هي أن يتحلى الإنسان عند معاملته للآخرين، بالعفة والحياء والظرافة والاحترام، وأن يتجنب بقدر الإمكان السلوكيات الجارحة اللاذعة حتى إزاء المعاملات السيئة أو الحوادث المريرة، وأن يحرص على أن يكون كلامه وتصرفاته قائمًا على الظرف والرفقة والإخلاص.

لقد أقام العالم الإسلامي حضارة من الأدب ودمائة الخلق يغبطه عليها حتى الملائكة، ومع الأسف فقد تلك الخاصية بعد فترة معينة، وكأنه بدأ يعيش عهدًا جاهليًا جديدًا كذلك العهد الذي عاشته الإنسانية قبل عصر السعادة، لأن كل القيم التي نتبناها في هذا العهد قد أصيبت - كما يقول الشاعر الإسلامي التركي نجيب فاضل - بضربات متلاحقة حتى تهاوت وانهارت. أجل، إن القرن العشرين قد شهد على انهيار كل قيمنا الذاتية؛ بدايةً من المنظومة العقديّة التي قامت على جذورنا الروحية والمعنوية حتى حياتنا التعبديّة وصولاً إلى مفهومنا حول آداب السلوك والمعاشرة. فإننا لما قطعنا صلّتنا بديننا أضعنا قيمنا الخاصّة بأداب السلوك والمعاشرة وفقدنا انضباطنا ومصطلحاتنا، فقدناها وصرنا غرباء على عالمنا الثقافي والفكري في تعاملاتنا مع الآخرين بدايةً من قيامنا وعودنا حتى أسلوب حديثنا وخطابنا.

إذن، فما الذي لا بد من القيام به؛ أولاً علينا أن نبدي الاحترام اللائق بماهية الإنسان؛ لأن الإنسان مخلوق كريم لا بد من احترامه وتقديره، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٤)، وهنا يبين ربنا ﷻ أن الإنسان مخلوق كريم محظي بقيمة فوق القيم، وهو في طبيعته يعبر عن مثل هذه القيمة.. ولا يخفى عليكم

أن رسول الله ﷺ لما مُرَّ عليه بجنّازة قام، فقيل له: إنه يهودي، فقال: "أليستُ نفسًا؟" (متفق عليه)، ومن ثم فعليكم ألا تتخلوا عن احترامكم لهذا الإنسان الذي خلقه الله مكرّمًا وإن أساء معاملته معكم، حتى وإن استخفَّ البعضُ بقيمكم وأساء الأدب مع الله ورسوله، فعليكم أن تحافظوا على أسلوبكم معهم محافظتكم على شرفكم وعرضكم، ويجب ألا تنسوا أنكم مسلمون مزودون بالأدب المحمدي والخلق القرآني؛ بمعنى أن أخلاقكم هي أخلاق القرآن، فكيف لكم أن تتصرفوا مثل الآخرين؟! قد يُفلت لسان الآخرين، وبعضهم يدنس المكان الذي يمرّ به، ولكنكم لستم مثلهم، إنكم مضطرون إلى أن تعبروا عما تميزون به وتختلفون فيه عنهم حتى في أسوأ الظروف.

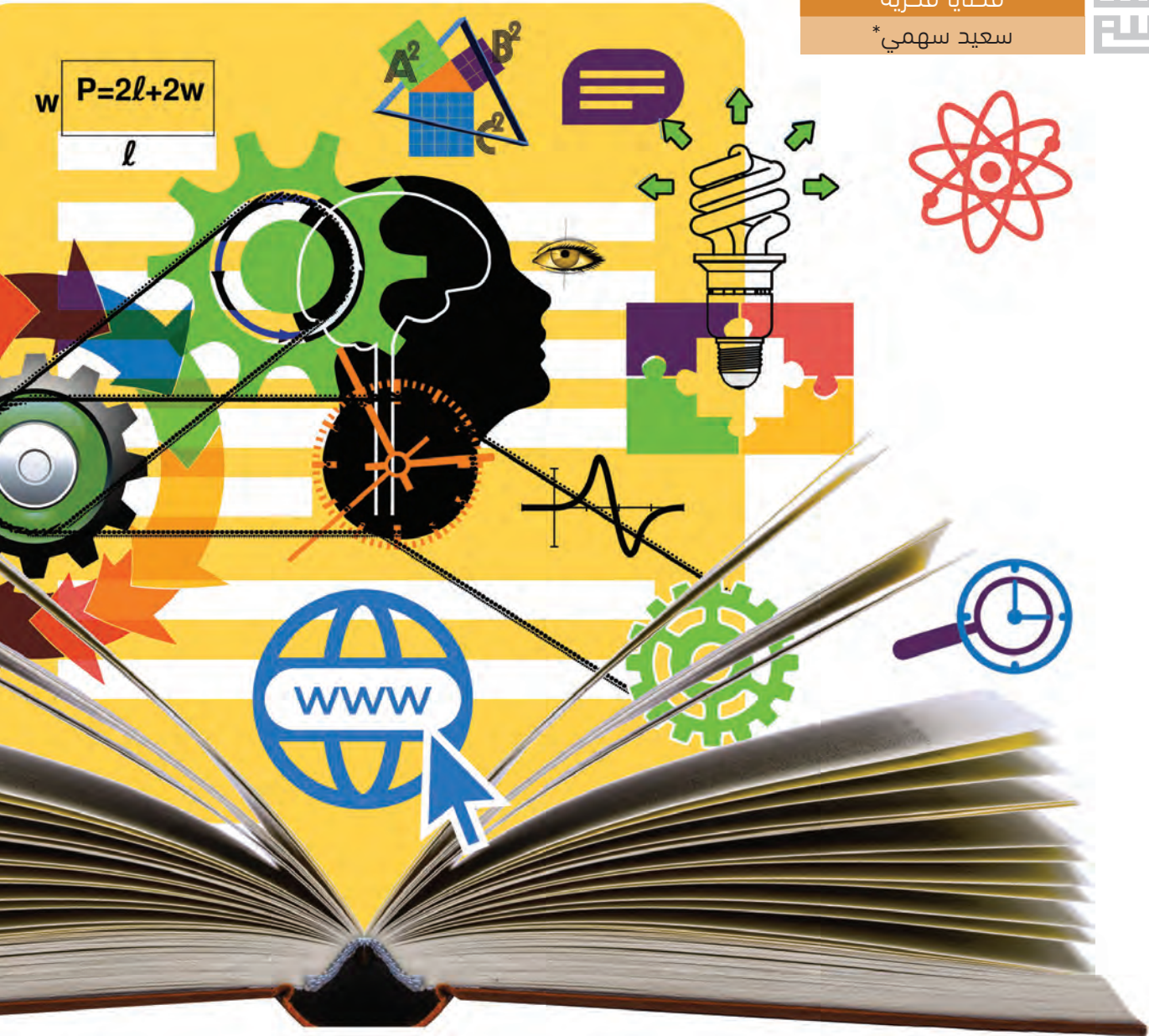
في الواقع إن المؤمن الحقيقي يكاد يتوقّف قلبه إذا تناول أحدهم بالكلام على الذات الإلهية أو الرسول الأكرم ﷺ، ولكنه رغم كل شيء يتعامل بأدب ولطف، ويقول: "عليّ أن أتعامل هنا بمقتضى الأدب الذي علّمنيه ربي ورسولي، وأن أردّ دون خروج عن هذا الإطار"، ليس هذا فقط، بل يتحمّل كلّ أنواع السلبات ابتغاءً مرضاة الله ورسوله، يتحمّل ولكن لا يتوانى في شرح حقيقة المسألة لمخاطبه بأسلوب لئِن رقيق مفعم بالحب والشفقة.

أجل، لا بد أن يجعل الإنسان من احترامه لغيره قاعدةً أساسية في حياته، ويحترم الجميع وفقًا لمستواهم وميزاتهم التي يتحلّون بها؛ فمثلاً عليه أن يتحرك في احترامه انطلاقًا من حقيقة أن هذا الإنسان هو "عبدٌ لله" وإن لم يكن مؤمنًا، أو أنه "عبد مؤمن بالله"، أو أنه "عبدٌ مؤمن بالله حقًا"، أو أنه "عبدٌ مؤمن بالله حقًا ويشاركه المصير نفسه، أو يهرول للهدف نفسه معكم.. وبذلك يتضاعف احترام الإنسان لغيره حسب درجته، ويصل إلى قيمة تفوق جميع القيم.

أجل، بداية يجب أن يتبدّى مثل هذا الشعور بالاحترام في داخلنا، فيصبح صوتنا ونفْسنا صوتَ هذا الشعور ونفْسَه.. إنني أعرفُ أسرًا يتخاطب فيها الإخوة مع بعضهم بـ"السيد فلان"، والسيدة فلانة"، وهذا نابعٌ من التربية التي استقرت داخل هذه الأسر. وأيًا كان ذلك الأخ كبيرًا كان أم صغيرًا فمن حقه ومن مقتضى احترام الإنسان للإنسان، أن يُخاطب بهذه النوعية من الألقاب.. وهكذا عليكم أن تؤمنوا بهذه الحقيقة أولاً ثم تتلفظوا بها.

فمثلاً إذا ما حرص المراسلون الذين يعملون في قناة تلفزيونية على مخاطبة بعضهم بـ"السيد فلان" (ليس اسمه فقط) مثلاً بشكل يختلف عن أسلوب الخطاب العادي، فسيستقر هذا الأسلوب من الاحترام بينهم بمرور الوقت، وبعد مدة يصير لا غرابة فيه، ربما يبدو هذا الخطاب في البداية فيه شيءٌ من التصنع والتكلف، ولكن مع الوقت تزول هذه الشبهة. ولذا فأياً كان نمطُ الأسلوب الذي نعبّر به عن احترامنا الذاتي، فينبغي أن نحبي مثل هذه الأساليب ونفعلها في حياتنا. فالأصل هو أن نشعر في أنفسنا بقيمتنا الذاتية، ونعبّر عن أنفسنا في جوٍّ من الاحترام والتقدير؛ وعلى ذلك فلا يصحّ لأحد أن يتلفظ بكلمات بذئنة قبيحة تؤذي الآخرين وتزعج أسماعهم. ■

(٢) جهود التجديد، دار النيل للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٧، القاهرة. ترجمة عبد الله محمد عنتر.



رهان التنمية في العصر الرقمي

إن الانتقال إلى مجتمع المعرفة هو أساس نهضة الأمم، وبناء مجتمع مثقف يبقى المدخل الوحيد للتغيير ولتحديث المجتمع العربي والارتقاء به في جميع المستويات الاقتصادية والتكنولوجية والسياسية والاجتماعية، وخاصة في عصر الرقمية الذي أصبحت فيه المعرفة الثروة الحقيقية للتنمية والارتقاء على مستوى الدولة، وعلى مستوى الأفراد أيضًا.

الرقمية جسر تواصل، ومن ثمة لا بد من استثمارها كرافد لنشر ثقافة التسامح والاختلاف في المجتمع العربي، كما أننا بحاجة اليوم إلى التخلص من ضيق الفكر ومن ضيق التفكير. كما أن توجيه وعقلنة استثمار الرقمية يبقن أساسياً للوصول للأهداف المرجوة.

حذاء

والعصبية مصدره لتطويع الغير وإرهابه.

وبالقدر الذي تتعدد فيه عوامل تراجع الوعي في الأمة العربية والتي يبدو أن من أبرز أسبابه غياب سياسة ثقافية حكيمة تنظر إلى المعرفة باعتبارها ثروة للتنمية، تتعدد المداخل التي بإمكانها أن تعيد إلى المجتمع العربي ثورته الحقيقية في وجه التخلف بمختلف أشكاله، والتي سنذكر في هذه الورقة بعضها وأهمها^(١).

مدخل التعليم

نلح دائماً على أن التعليم هو المدخل الحقيقي لأي تغيير، ويبدو أننا إلى اليوم ما زلنا في حاجة إلى ثورة حقيقية في التعليم لا تمس الوسائل أو البرنامج أو المناهج أو البيداغوجيات المعتمدة فقط، بل تنطلق من سياسة تعليمية هادفة إلى التغيير، وهذه السياسة لا يمكن أن تتم خارج التدخل المباشر للدولة في الإصلاح؛ وإذا كان عدد من الدول العربية لا سيما في الخليج العربي قد قامت بإصلاحات كبيرة جداً في مجال التعليم، مما جعل بعضها يتبوأ مؤخراً مراتب متقدمة في تحقيق الجودة، فإن دولاً أخرى تحاول أن تلقي بالقطاع في فوهة الخوصصة، بحيث تريد تلك الدول أن تنفض يدها من هموم التعليم الذي يعتبر مدخل التقدم والتغيير، وهي بذلك لا تخسر القطاع فقط بل تخسر الوطن أيضاً؛ حيث إنها ستكون مستقبلاً عاجزة عن تحقيق اكتفاء ذاتي في الأطر العاملة ذات الكفاءة، مما قد تضطر معه إلى استيراد أطر في كافة القطاعات الحيوية.

بذلك يبدو أنه لا مفر من معالجة الوضع عبر



hiragate.com

إن الثقافة الهادفة لبناء مجتمع المعرفة، تتخذ من التوعية أساسها لتغيير الوضع انطلاقاً من نشر العلم والتوعية، ومحو الأمية التي تعشش على معظم الدول العربية، فتكون المعرفة بهذا المفهوم وسيلة وغاية في الوقت ذاته، بحيث إن الإنسان المثقف بالمعنى العميق، لا بد أن ينتهج التغيير لصالح الأمة، فالعواقب الوخيمة التي وصلت إليها الدول العربية سببها الأساس هو غياب الوعي، وترهل الفكر، وعدم الإيمان بالاختلاف، والتعصب الذي يتخذ من القبلية

إعادة النظر في سياستها التعليمية التي ينبغي أن يكون هدفها هو نشر العلم والمعرفة وتجويد التعليمات، من خلال السماح للجميع بالتعلم في ظروف مناسبة، ونهج سياسة جديدة تحارب من خلالها الهدر المدرسي، لينهي المتعلم على الأقل المرحلة الثانوية؛ ومن أبرز هذه الوسائل إعادة النظر في نظام التقويم والامتحانات، ومواكبة التطورات عبر التكوين المستمر وإعادة الاعتبار للمدرس ولباقي الأطر التربوية، ولن يتم ذلك إلا برفع ميزانية التعليم، وكذا الاهتمام بالبحث العلمي في المراحل الجامعية.

مدخل الثقافة

غالبًا ما نجد أن وزارة الثقافة في الدول العربية تقتصر مهمتها في تكريس الوضع القائم عبر نشر ثقافة الفولكلور، على أهميتها، وتبذير المال في المهرجانات وغير ذلك، مما لا يعطي نفسًا جديدًا للثقافة في الوطن العربي، كما أن الجوائز المخصصة لتشجيع الكتابة والإبداع، تظل عاجزة عن تشجيع الإبداع الحقيقي الذي عليه أن يواكب التحولات التي يشهدها العالم اليوم^(٣).

إن ما يجب الاهتمام به في وزارات الثقافة العربية عمومًا، هو "الإنتاج" الذي يمكن أن يكون المقابل الصحيح "للإبداع"، فأنتج معناه أن نعطي وأن نجدد وأن نتقدم، في حين أن ما يروج في الإعلام اليوم من "إنتاجات" يبدو أنه لا يعدو أن يكون "إعادة إنتاج" وهو ما لن يحقق المطلوب، كما لا يستجيب إلى ما يراهن عليه مجتمع في طور التغيير.

وإذا عدنا إلى الثورة الغربية والنهضة الغربية، وجدنا أن مدخل التغيير عندها قد تم من خلال حركات ثقافية ما زالت حاضرة في ما ينتج اليوم، وإذا عدنا إلى القرن السابع عشر -مثلاً- وجدنا أن الثورة التي غيرت فرنسا في عهد لويس الرابع عشر، كانت نتيجة الصالونات الأدبية والمقاهي الأدبية التي أثمرت حراكًا أدبيًا انعكس على موجات ثقافية متعددة

مثل الباروك (le baroque)، والكلاسيكية (le classicisme)، والتحديدية (la préciosité)، والتحررية (le libertinage)، وغيرها من الحركات التي صنعت الاختلاف في فرنسا وأسهمت في تحولات عدة توجت بالأنوار وانتهت بالثورة الفرنسية نهاية القرن الثامن عشر.

من ثم أمكن الحديث عن ثورة النخبة وثورة القاعدة، وثورة النخبة هي التي يبدو أنه بإمكانها أن تنقلنا إلى مجتمع ثقافي وإلى مجتمع المعرفة. ويبدو بذلك أنه لا مفر من أن ينخرط المثقف اليوم في النضال والحراك المعرفي عبر روافد أكاديمية تنقلنا إلى ثورة النخبة من خلال تعليم القيم الوطنية والقومية والإيمان بالاختلاف، ومن خلال مدخل العلم والمعرفة.

مدخل الفنون والإعلام

الفن كان دومًا مدخلًا للتغيير في الحضارات، ووسيلة تنوير، وأداة تعتمد مهارات الذكاء والإبداع، مما جعله في أوروبا القرن الخامس عشر والسادس عشر البداية الحقيقية للثورة العلمية والصناعية. غير أننا ننظر في الفن اليوم في المجتمع العربي رغم الإمكانيات الهائلة لبعض الدول، ننظر إليه مهمشًا تهميشًا كبيرًا، وأن ما ينتج من أعمال فنية غالبًا ما تكرر الوضع القائم وترسم صورة حالكة عن واقعنا، بيد أن أهمية الفن تلخص منذ أرسطو في التطهير (la catharsis) وتكمن في التغيير والتجديد والتفكير في الراهن والمستقبل.

وإذا عدنا إلى ما يروج في العالم العربي، نجده تابعًا للغرب في جوهر ما ينتجه، أما الإبداعات التي ترتبط بالواقع العربي فغالبًا ما تفتقر إلى الموجه العلمي والثقافي والفني الذي من شأنه أن يعمل على إذكاء روح التجديد في المجتمع العربي، ومن ثم تكون له القدرة على التغيير.

إن الإعلام في الغالب لا ينصت إلى الطبقات المقهورة في المجتمع، والتي قد تمتلك القدرات الهائلة التي يمكن استثمارها، في حين تلتفت إلى ما يشاع من ثقافة بئسية، ثقافة إشعاعية يسميها البعض ثقافة

المقاولة وثقافة تكريس الطبقة من خلال ما يروج.

إن السينما والمسرح والفن التشكيلي وغيرها من الفنون، يمكن أن تكون منطلق التجديد ومنطلق الابتكار والخلق، لذلك نجد أن الدول الغربية اليوم لا تهمل شيئاً مما يمكن أن يبني حضارتها، حيث تسهر الدولة على تشجيع الإبداع الهادف، وبذلك يبدو أن التركيز على المقومات الثقافية الوطنية أساسي جداً من أجل جيل يحب وطنه ويدع في وطنه ويحترم قيمه الخاصة لمواجهة المد العولمي، ومن أجل ثقافة الاختلاف التي من شأنها أن تواجه ثقافة العنف والإقصاء.

مدخل المجتمع المدني

لا شك أن الدولة وحدها لن تستطيع أن تصنع الثورة الحقيقية للإصلاح، وأن المجتمع وحده بكل بنياته وطبقاته وفئاته هو الذي يستطيع بتضافر الجهود أن يغير. ومن ثم إن المجتمع بأكمله عليه الانخراط في الإصلاح وفي التنوير العلمي والثقافي، كل من مكانه وحسب دوره الاجتماعي. ومن هنا لا بد من التذكير بأهمية جمعيات المجتمع المدني، التي بإمكانها أن تسهم إسهاماً كبيراً في القيام بدورها في مختلف ميادين التنوير الاجتماعي، بدءاً من دروس محو الأمية، مروراً بالتعليم غير النظامي لإعادة التلاميذ المغادرين إلى طاولات الدرس، وصولاً إلى ما يمكنها أن تساهم به في البحث العلمي والإبداع والنشر، ونشر الثقافة والفن الباني من خلال المقاهي الأدبية والصالونات الأدبية، وغيرها من الأنشطة البانية.

ويمكن التنويه في هذا الصدد، بتجارب قامت بها بعض الدول العربية، مثل المغرب، مثل الجامعات الشعبية التي أسهمت في التنوير، رغم أنه لم تكتب لها الاستمرارية، فضلاً عن مؤسسات التكوين المهني والتي أخرجت الشباب من الجهل والامية إلى التكوين الذاتي في مختلف المجالات، كما أنها أسهمت في تكوين نخبة عارفة قادرة على الإصلاح وعلى التغيير الذاتي أولاً.

مدخل الرقمية

الرقمية حسب "ميشيل سير" (Michel Serre) ليست ترفاً

فكرياً وتكنولوجياً، بل إنها مدخل للديمقراطية المعرفية أيضاً. ومن ثم فإن كل من يمتلك حاسوباً - كما يرى الباحث المغربي محمد أسليم - يمتلك مكتبة ودار نشر يستطيع أن يكتب وأن ينشر وأن يرأسل.. وكم من الكتاب أصبحوا مشاهير بفضل الرقمية والإنترنت. فبإمكاننا اليوم أن نجعل من هذه الوسيلة، آلية بث المعرفة في العالم العربي، عبر استثمارها أولاً في التواصل المعرفي والعلمي مع مختلف الثقافات وخاصة على مستوى المجتمع العربي.

إن الرقمية بإمكانها أن تكون بديلاً تثقيفياً وتعليمياً، يعوضنا عن ندرة الكتب ومصادر المعرفة الأخرى، كما أن هذا الأمر يدعونا بالتحاق إلى رقمنة التراث والاستفادة منه والإفادة في نشره في العالم^(١).

الرقمية جسر تواصل، ومن ثمة لا بد من استثمارها كرافد لنشر ثقافة التسامح والاختلاف في المجتمع العربي، كما أننا بحاجة اليوم إلى التخلص من ضيق الفكر ومن ضيق التفكير. كما أن توجيه وعقلنة استثمار الرقمية يبقى أساسياً للوصول للأهداف المرجوة.

إن نتيجة الثورة المعرفية بلا منازع ستكون إيجابية من خلال الإسهام في الإشعاع العلمي والخروج من ضروب الجهل والامية التي تعتبر مدخل العنف والعصبية، كما نلح على أن الأمر يحتاج إلى تضافر الجهود من طرف الدولة والمجتمع المدني، لخلق حوار ثقافي ومعرفي. فالعلم والمعرفة هما المدخل الحقيقي للتقدم الذي تسعى إليه كافة الدول العربية. ■

(١) كاتب وباحث مغربي.

الهوامش

(١) تحديث التعليم من تحديات الدول العربية؛ في: <https://www.albayan.ae>، آخر اطلاع: ٦ نوفمبر ٢٠٢١.

(٢) المصالحة مع الكتاب مدخل للارتقاء ثقافياً، في: <https://e3arabi.com>، آخر اطلاع: ٦ نوفمبر ٢٠٢١.

(٣) الإعلام مدخلا للتوعية؛ في: <https://aawsat.com>، بتاريخ: ٦ نوفمبر، تشرين الثاني ٢٠٢١.



السكريات تدخل جداول المخدرات

يستهلك المواطن في العالم العربي ما يعادل ٥٠ كجم من السكر في المتوسط سنوياً، ويعد هذا المؤشر دليلاً على خطورة الاستمرار في هذا الوضع. وليس هذا بمعزل عن العادات الغذائية الخاطئة التي يمارسها المجتمع في نواح أخرى، مثل استهلاك الأطعمة الدهنية الدسمة، وقلّة ممارسة النشاط والحركة. إن استهلاك مثل هذه النوعية من الأطعمة، لا يسبب مشكلاً إذا كان الفرد يمارس تمارين منتظمة للمحافظة على لياقته البدنية. لكن الملاحظ أن النشاط البدني يكاد يكون معدماً عند قطاع عريض من الناس وخاصة ذوي الأعمار التي تخطت الأربعين، مما يرفع من معدل خطر الإصابة بمرض السكري.

إن مرض ارتفاع نسبة الجلوكوز في الدم، لا يعد مشكلة في حد ذاته، ولكن المشكلة الحقيقية تكمن في المضاعفات التي يحدثها نتيجة الارتفاع المستمر له

ي

عرف العلماء أن السكر يقوم بتحفيز مناطق إفراز الدوبامين لدينا، مما يجعل منطقة المكافأة في الدماغ تعمل بنفس الطريقة التي تعمل بها عند تعاطي الإنسان للكحول أو النيكوتين أو المخدرات.

حذاء

شهية الخلايا السرطانية للسكر

إن أخطر ما تؤدي إليه مضاعفات مرض السكري، هو علاقته بالخلايا السرطانية. فقد قال العلماء الذين أجروا دراسة عن هذه العلاقة، إن مشروعهم البحثي على امتداد تسع سنوات، أوصلهم إلى أن هناك آلية بيولوجية في خلايا الخميرة يمكنها تفسير العلاقة بين السكر والأورام الخبيثة، من خلال الكشف عن الطريقة التي تقوم بها الخلايا السرطانية بتكسير السكر والتي ترتبط بتحفيز نمو الورم.

بدأ العلماء بدراسة شهية الخلايا السرطانية للسكر، لأن هذه الخلايا تدعم انشطارها المتسارع بإعادة برمجة تمثيلها لامتصاص السكر وتخمييره وإنتاج اللاكتات. وعلى العكس من ذلك، فإن الخلايا السليمة استمرت في التنفس الطبيعي وامتصاص السكر وتحلله إلى ثاني أكسيد الكربون والماء.

إن كل خلية في الجسم بحاجة إلى السكر من أجل البقاء، لكن جاء اكتشاف العالم "أوتو واربورج" ليوضح أن الخلايا السرطانية تفضل الجلوكوز، أو تتطلب السكر أكثر من الخلايا السليمة، حيث تقوم بتكسير السكر بصورة أسرع ولكنها لا تقتصر عليه، وهو ما يعرف باسم "مؤثر واربورج". وقد فكر العلماء منذ فترة طويلة، فيما إذا كانت هذه الظاهرة مرتبطة بكيفية نمو الأورام بقوة أم لا.

يقول رئيس فريق الباحثين الدكتور "يوهان تيفيلان" من مركز لوفان البلجيكي للبيولوجية السرطانية: "كشفت أبحاثنا كيفية الأداء الاستهلاكي للسكر السطحي المفرط للخلايا السرطانية، الذي يؤدي

وغير المنتظم. فهذه المضاعفات تؤثر على الجسم من أعلاه إلى أدناه مرورًا بتساقط الشعر، وضعف البصر، وتساقط الأسنان، وأمراض القلب والكلية والكبد والبروستات، وضعف الأعصاب، والروماتيزم، وارتفاع ضغط الدم وغيرها.

أكثر ما يهمننا من هذه المضاعفات هو ضعف الإبصار، وإصابات الأعصاب الطرفية، وبطء التئام الجروح، بما يعرف بالآكلة أو "الغرغرينا" التي تؤدي إلى البتر، وهي مضاعفات تؤثر على الفعالية الحياتية للإنسان.

إن الإصابة بمرض السكري دون أن يكون هناك تحكّم في نسبة السكر في الدم، يؤدي إلى ضعف أو خلل في الأعصاب الموصلة للإشارات البصرية، وكذلك ضعف في شبكية العين التي تتطلب تدخلًا دوائيًا أو جراحيًا لحماية الأعصاب البصرية حتى لا تؤدي إلى العمى.

أما القدمان، فإن نوعية الأحذية التي يلبسها مريض السكري تتطلب عناية تامة، وملاحظة أية تقرحات أو جروح تظهر عند لبس هذا النوع من الأحذية ومعالجتها فورًا ودون تأخير. فمن الشائع تأثر أقدام المصابين بالسكري بالجروح والتقرحات الصغيرة، وإهمالها يؤدي حتمًا إلى حد بتر أصبع القدم أو القدم بأكملها، وبالتالي الإصابة بالعجز الدائم.

مضاعفات مرض السكري من الممكن التغلب عليها والوقاية منها، بالحرص والعناية والاهتمام واتباع حمية غذائية تساعد على التحكم في نسبة سكر الدم، وكذلك تناول العلاج في موعده، مع العلم أن كثيرًا من المصابين بالسكري من النوع الثاني، قد لا يحتاجون إلا لاتباع حمية غذائية معينة يستطيع الإنسان التعرف على أساسياتها العامة عند الرجوع إلى الطبيب في هذا المجال. وهناك الكثير من الرياضيين والمشاهير المصابين بالسكري، يمارسون حياتهم اليومية دون أن يعيقهم ذلك عن أداء مهامهم. وبالمثل يستطيع المريض المصاب بالسكري أداء جميع المهام الموكلة إليه بكل اقتدار متى عرف كيف يتحكم في هذا المرض.

hiragate.com

السكريات مخدرات

إن السكر يساهم بكل تأكيد في زيادة الوزن، وهو بلا قيمة غذائية كبيرة، لذا فمن الأفضل الحفاظ على وزن صحي بإيجاد توازن بين الرياضة والغذاء الذي يتناوله الشخص، لا سيما لدى مرضى السرطان. ولعل ذلك كان أحد الأسباب التي دعت العلماء إلى التعامل مع السكريات كنوع من المخدرات، حتى إنهم طالبوا بالفعل بإدراج السكر ضمن جداول المخدرات لتقنيته ودرء مخاطره.

أول مَنْ وَجَّه بهذا كان الباحث والكاتب "جاري تاوبس" في كتاب يقول فيه: "أثناء فترة طفولتي كانت حلوى الجلي بطعم البطيخ هي المفضلة عندي، لم أكن أحب باقي النكهات المتعددة، لذا كنت أقوم بالتخلص من الأنواع الأخرى، فمثلاً نكهة العنب كانت مقبولة، أما التفاح الأخضر فكنت أرميها؛ حتى أقوم بالتلذذ بنكهة البطيخ المفضلة لدي. وفي أحد أيام الصيف قُدِّم لي البطيخ الطبيعي، رفضته ولم أكله، لأن نكهته لم تكن كتلك التي تعودت عليها بالحلوى المنكهة. فهل يعد هذا إدماناً يشابه إدمان المخدرات؟ وبالتالي هل يمكننا أن نصف السكر كنوع من المخدرات؟".

لقد نوقش هذا السؤال لفترة طويلة من الزمن، منذ عرف العلماء أن السكر يقوم بتحفيز مناطق إفراز الدوبامين لدينا، مما يجعل منطقة المكافأة في الدماغ (Brain Reward System) تعمل بنفس الطريقة التي تعمل بها عند تعاطي الإنسان للكحول أو النيكوتين أو المخدرات. فنظام المكافأة هو عبارة عن نظام عبور كيميائي وكهربائي في العديد من المناطق المختلفة من الدماغ، حيث تتفاعل مادة الدوبامين الكيميائية التي تُسمى بالنواقل العصبية في الدماغ، لتؤثر على الكثير

إلى حلقة ضارة من التحفيز المستمر لنمو السرطان وتطوره، كما أنه قادر على تفسير العلاقة بين قوة تأثير فاربورج وعدوانية الورم. وهذا الارتباط بين السكر والسرطان له عواقب واسعة النطاق، ونتائجنا الحالية تجرى أساساً للبحوث المستقبلية في هذا المجال، والتي يمكن أن تكون أكثر دقة".

من قبل كان هناك تساؤل مهم هو: هل مؤثر واربورج عرض من الأعراض، أم سبب من الأسباب؟ ولم يكن واضحاً ما إذا كان مؤثر واربورج مجرد عرض من أعراض السرطان، أو ما إذا كان يمكن أن يؤثر على نمو الورم.

أخيراً أظهرت الدراسة الجديدة أن مؤثر واربورج يحفز بالفعل على نمو الأورام السرطانية، إلا أن هذا لا يعني -بأي حال من الأحوال- أن السكر يسبب السرطان بشكل مباشر. ولإجراء أبحاثهم، استخدم العلماء الخميرة ككائن نموذجي؛ فالخميرة تنتج أيضاً الطاقة من السكر عن طريق التخمر، تمامًا مثل الخلايا السرطانية، كما أنها تحتوي على بروتينات "راس" (Ras) الموجودة في الخلايا السرطانية.

أحد أدوار هذه البروتينات، هو أن لديه قدرة التحكم في نمو الخلايا حال ما إذا تعرضت الجينات المتحكم بها إلى طفرة جينية. كما أن بروتينات راس، يمكنها أن تصبح نشطة بشكل دائم، ما يتسبب في توحش ونمو الخلايا، وبالتالي الانتشار غير المنضبط للخلايا السرطانية. وهكذا باستخدام الخميرة، نظر الباحثون إلى العلاقة بين بروتينات راس وارتفاع نسبة التمثيل الغذائي للسكر.

وأوضح البروفيسور "ثيفلين" أن: "الميزة الرئيسية لاستخدام الخميرة في أبحاثنا، هي أنها لم تتأثر بالآليات التنظيمية الإضافية لخلايا الثدييات، التي تخفي العمليات الأساسية الحاسمة، وبالتالي كنا قادرين على استهداف العمليات الأساسية وتأكيد وجودها في خلايا الثدييات، وهذه النتائج مثيرة جداً في مستقبل أبحاث السرطان، كما أن معرفة المزيد عن علاقة السرطان بالسكر، وانفتاح هذا الأمر في البحوث، لا يساوي بالضرورة تقدماً أو تطوراً في الطب".



من الأحاسيس والسلوكيات.

لقد اكتشف مركز الدراسات الغذائية البريطاني، أن نصف السكريات التي يتناولها الأطفال تكون في الصباح، أما كون السكر طبيعيًا أو صحيانًا، فهذا لا يحل المشكلة، لأن الكبد لن يهتم إذا ما كان السكر طبيعيًا -عضويًا- أم لا.

مع هذا كله فنحن بحاجة للسكريات، لأن أدمغتنا تسحب الطاقة منها كما يسحب طائر الطنان الرحيق من الزهرة. وعلى الرغم من الضغط والخداع الذي يمارسه لوبي شركات السكريات، أقرت منظمة الصحة العالمية أن الحد الأعلى لتناول السكر في اليوم الواحد هو ٢٥ كجم، مع العلم أن أي علبه عصير أو شراب طبيعية وطازجة نسبة السكر فيها أعلى من ٢٥ جم. ولهذا نرى تعرض الأطفال لأمراض إدمانية شبيهة بأمراض مدمني الكحول، مما دعا بعض الخبراء إلى التعامل مع السكريات كمخدرات.

خطر يعيش فينا

وفي المقابل ولمواجهة هذه الموجة، اعتمد البعض على فهم مغلوط وسطحي لآلية تسمى "التطهير"، أي تطهير الجسم من السموم. وهذه الطريقة أيضًا لها مخاطر عديدة؛ فمؤخرًا دخلت امرأة المستشفى بعد أن تعرضت لنوبة مرضية، وكانت قد استخدمت "مواد طبيعية" مثل الشاي الأخضر، وحليب الشوك أو الحرشف البري، وجذور نبات الناردين المعروفة أيضًا باسم السنبل الرومي أو حشيشة القطه، بهدف "التخلص من السموم"، لكن تبين في النهاية أن تلك المواد الطبيعية هي المسؤولة عن نوبتها المرضية.

في أول تقرير لمنظمة الصحة العالمية عن مرض

السكري، ذكر أن هناك ٤٢٢ مليون بالغ -حول العالم- مصاب بالسكري، ويعيشون بشكل رئيس في الدول المتقدمة. ومن المثير للاهتمام أن السكر قديمًا كان يستخدم كدواء وليس كطعام، وانتشر في جنوب أوروبا، وما زال يعامل ويسعر -كنوع- من التوابل النادرة.

المشكلة أن السكر متواجد في عدد لا يحصى من الأطعمة، فالكربوهيدرات تتحول إلى سكر في أجسامنا، والكحول في الأساس عبارة عن عصير.. وبالتأكيد فإن الاعتدال في كل شيء ضروري، لكننا إلى الآن لا نعرف ما هو الكم المعتدل.. وهذا يترك مجالاً للشركات والأخصائيين بأن يزيدوا من تعقيد هذه المسألة.

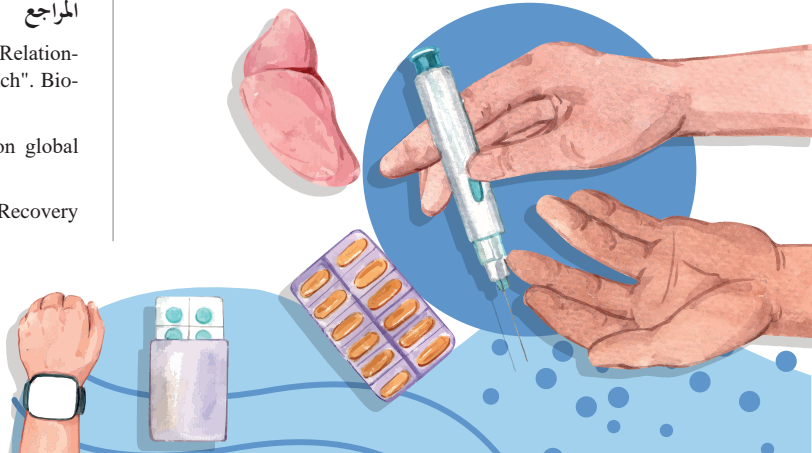
لكن ما المشكلة في التقليل من السكر؟ إن هذا القليل حتمًا سيواصل الازدياد سنة بعد أخرى، ومرضًا بعد مرض.. فالمدمنون على الكحول يعرفون المشكلة، لكنهم لا يعترفون بمرضهم، ولا يعالجون أنفسهم بل لا يأنسون به. كذلك المدمنون على السكريات لا يدركون كمية الخطر الذي يعيشون فيه، ورفض بعض التحلية أو ما شابه، سيكون ضربًا من الجنون وشيئًا لا يصدق بالنسبة لهم. ربما لن نعرف أبدًا حجم الكمية المعتدلة التي يجب علينا تناولها، لكننا نعلم يقينًا أنه يجب علينا دومًا التقليل منه والثبات عليه.

علينا أن نتجاهل ما هو ناقص وبعيد عن الحقائق العلمية، وأن نوجه اهتمامنا إلى اتخاذ المبدأ الوقائي. بمعنى أن نعرف ما هو الشيء الذي يهددنا ويشكل خطرًا علينا ويعيش فينا ونعيش به، وما يمكن أن يؤثر في صحتنا وقد يوصلها حد الموت. ■

*) متخصصة في علم النفس السريري والعلاج النفسي السلوكي / مصر.

المراجع

- (1) Anisimov VN, Sikora E, Pawelec G (August 2021). "Relationships between cancer and aging: a multilevel approach". *Bio-gerontology*.
- (2) American Cancer Society. "Report sees 7.6 million global 2019 cancer deaths". Reuters.
- (3) The Disease of Addiction: Origins, Treatment, and Recovery (2019).



نماذج من التراث في الاستفادة من النفايات

يتسم زماننا المعاصر بتضخم عمليات الإنتاج وكميات الاستهلاك، وبالتبعية تضخم

ي

النفايات أو المخلفات الناجمة عنهما، مما جعل تلك النفايات تشكل تهديداً خطيراً للبيئة، ومشكلة عويصة تُبذل جهود علمية وإدارية كبيرة بصددها معالجة وبتبنيات ضخمة. وقد تزايد الوعي والاهتمام بالاستفادة من النفايات، من خلال إعادة استخدامها (Re-use) وإعادة تدويرها (Recycling)، وذلك ضمن

المعالجات الحديثة الهامة لهذه المشكلة.

بيد أن حداثة هذه المعالجات، لا يعني بأنها لم تكن معروفة من قبل، وخاصة في تراثنا الذي اعتدنا منه الريادة والسابقة في مجالات عديدة.. وفي إطلالتنا هذه، سنسلط الضوء على نماذج ريادية من التراث، فيما يتعلق بالاستفادة من النفايات.

في البدء، تطيب الإشارة إلى حديث شريف يحث فيه النبي ﷺ على الانتفاع من جلد شاة ميتة، ونص الحديث كما جاء في صحيح مسلم: تُصَدِّقُ عَلَى مَوْلَاةٍ لِمَيْمُونَةَ بِشَاةٍ فَمَاتَتْ، فَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "هَلَّا أَحَدْتُمْ إِهَابَهَا فَدَبَعْتُمُوهُ فَانْتَفَعْتُمْ بِهِ"، فقالوا: إنها ميتة، فقال: "إنما حَرَمَ أَكْلُهَا". ولا عجب من الاهتمام النبوي بالاستفادة من جلد شاة ميتة، فهذا الدين الحنيف يهتم بتحقيق كل ما فيه مصلحة الإنسان.

ولننظر على ثلاث نماذج تراثية؛ الأولى والثانية لشخصيتين واقعتين وهما: معاذة العنبرية، وأبو سعيد المدائني، واللذان يمكن اعتبارهما صديقين للبيئة لريادتهما في الاستفادة من النفايات. وقد ورد ذكر قصتهما في الكتاب الشهير "البخلاء" للجاحظ (١٥٩-٢٥٥هـ). والنموذج الثالث لمدينة صنعاء، كمدينة ذات سابقة في النظافة والاستفادة من النفايات، والنموذج مأخوذ من وصف صنعاء في كتاب "المنشورات الجليلة" للعلامة جمال الدين الشهاري (ت ١١٧٦هـ).

معاذة العنبرية

قصة معاذة العنبرية تدور حول شاة أهديت لها، فلم تنتفع من لحمها فقط، وإنما فكرت في عدم تضييع أي شيء من الشاة المذبوحة، فكل جزء تم الاستفادة منه واستخدامه الاستخدام المناسب.

وقد سبقت معاذة العنبرية بذلك، الداعين إلى استغلال مخلفات الذبائح من الجلود والعظام والدهون استغلالاً علمياً سليماً محافظاً على البيئة؛ فهي استفادت حتى من دم الذبيحة، ذلك الدم الذي يتسبب في كثير من المشكلات البيئية في المسالخ التي لا تحافظ على البيئة من مخلفاتها.

وفيما يلي قصتها كما وردت في كتاب "البخلاء"

إن تراثنا غني بالإبداع، ولكن من العجيب أننا نقابله بالإهمال والانقطاع عنه مع أننا قد نجد فيه العديد من الحلول والأفكار لمشاكلنا الحديثة. وكيفي أن إعادة الارتباط به سينمي لدى الأجيال الجديدة روح الابتكار والثقة بالنفس وتعزيز الاعتماد على الذات.

حراه

للجاحظ، وإن كانت هي في الواقع لا تستحق أن تحشر مع البخلاء، فهناك فرق بين البخل وبين الحرص وحسن التدبير:

"... ثم اندفع شيخ منهم فقال: لم أر في وضع الأمور مواضعها وفي توفيتها غاية حقوقها كمعاذة العنبرية، قالوا: وما شأن معاذة هذه؟ قال:

أهدى إليها العام ابن عم لها أضحية، فرأيتها كثية حزينة مفكرة مطرقة، فقلت لها: ما لك يا معاذة؟ قالت أنا امرأة أرملة وليس لي قيم، ولا عهد لي بتدبير لحم الأضاحي، وقد ذهب الذين كانوا يدبرونه ويقومون بحقه، وقد خفت أن يضيع بعض هذه الشاة، ولست أعرف وضع جميع أجزائها في أماكنها. وقد علمت أن الله لم يخلق فيها ولا في غيرها شيئاً لا منفعة فيه، ولكن المرء يعجز لا محالة، ولست أخاف من تضييع القليل إلا أنه يجز تضييع الكثير.

أما القرن فالوجه فيه معروف، وهو أن يجعل منه كالخطاف، ويسمر في جذع من أجذاع السقف، فيعلق عليه الزبل والكيران، وكل ما خيف عليه من الفأر والنمل والسنانير وبنات وردان والحيات وغير ذلك. وأما المصران فإنه لأوتار المندفة، وبنا إلى ذلك أعظم الحاجة. وأما قحف الرأس واللحيان وسائر العظام فسيبيله أن يكسر بعد أن يعرق، ثم يطبخ، فما ارتفع من الدسم كان للمصباح وللإدام وللعصيدة ولغير ذلك، ثم تؤخذ تلك العظام فيوقد بها، فلم ير الناس قوداً قط أصفى ولا أحسن لهباً منه، وإذا كانت كذلك فهي أسرع في القدر، لقلتها ما يخالطها من الدخان. وأما الإهاب فالجلد نفسه جراب. وللصوف وجوه لا تعد. وأما الفرث والبعر فحطب إذا جفف عجيب.

ثم قالت: بقي الآن علينا الانتفاع بالدم، وقد علمت أن الله ﷻ لم يحرم من الدم المسفوح إلا أكله وشربه، وأن له مواضع يجوز فيها ولا يُمنع منها، وإن أنا لم أفع على علم ذلك حتى يوضع موضع الانتفاع به؛ صار كية في قلبي، وقذى في عيني، وهمًا لا يزال يعودني.

قال: فلم ألبث أن رأيتها قد طلقت وتبسمت، فقلت: ينبغي أن يكون قد انفتح لك باب الرأي في الدم. قالت: أجل ذكرت أن عندي قدورًا شامية جدًا. وقد زعموا: أنه ليس شيء أدبغ ولا أزيد في قوتها من التلطيح بالدم الحار الدسم. وقد استرحت الآن، إذ وقع كل شيء موقعه. قال: ثم لقيتها بعد ستة أشهر، فقلت لها: كيف كان قديد تلك؟ قالت بأبي أنت! لم يجئ وقت القديد بعد. لنا في الشحم والألية والجنوب والعظم المعرق وفي غير ذلك معاش. ولكل شيء إبان.

أبو سعيد المدائني

قد يعتقد البعض أن فرز أو تصنيف النفايات (Waste sorting) والاستفادة منها كمورد اقتصادي هي فكرة حديثة مأخوذة من الغرب، ولكن في الواقع فإن أبا سعيد المدائني كانت له سابقة في هذا المضمار. أفرد الجاحظ في كتابه "البخلاء" قصة هذا الرجل في فرز "الكساحة"، أي القمامة وكيفية الانتفاع بكل شيء فيها حتى التراب. جاء فيه:

"... وكان أبو سعيد ينهى خادمه أن تخرج الكساحة من الدار، وأمرها أن تجمعها من دور السكان، وتلقبها على كساحتهم، فإذا كان في الحين -بعد الحين- جلس وجاءت الخادم ومعها زبيل، فعزلت بين يديه من الكساحة زبيلًا، ثم فتشت واحدًا واحدًا، فإن أصاب قطع دراهم وصره فيها نفقة والدينار أو قطعة حلي، فسبيل ذلك معروف. وأما ما وجد فيه من الصوف، فكان وجهه أن يباع إذا اجتمع من أصحاب البراذع. وكذلك قطع الأكسية، وما كان من خرق الثياب، فمن أصحاب الصينيات والصلاحيات.

وما كان من قشور الرمان فمن الصباغين والدباغين، وما كان من القوارير، فمن أصحاب الزجاج. وما كان من نوى التمر، فمن أصحاب الخشوف. وما كان من نوى الخوخ فمن أصحاب الغرس. وما كان من

المسامير وقطع الحديد فللحدادين. وما كان من القراطيس، فللطرّاز.

وما كان من الصحف فلرؤوس الجرار، وما كان من قطع الخشب فللأفاكين. وما كان من قطع العظام فللوقود. وما كان من قطع الخزف فللتنانير الجُدُد. وما كان من أشكنج فهو مجموع للبناء، ثم يحرك ويُثار ويخلل، حتى يجتمع قماشه، ثم يعزل للتنور. وما كان من قطع القار، بيع من القيار. فإذا بقي التراب خالصًا، وأراد أن يضرب منه اللبن للبيع وللحاجة إليه، لم يتكلف الماء، ولكن يأمر جميع من في الدار ألا يتوضؤا ولا يغتسلوا إلا عليه، فإذا ابتل ضربه لبنًا.

صنعاء مدينة

تتفاخر المدن الحديثة باهتمامها بالنظافة، والتخلص السليم من مخلفاتها، وخاصة من خلال إعادة الاستفادة من النفايات وتدويرها، إلا أن ذلك كان متعارفًا عليه في مدينة صنعاء من قديم الزمان.

وصف صاحب كتاب "المنشورات الجلية" نظافة صنعاء بالعبارة التالية: "هذا وأما نظافة هذه المدينة بأجملها فأمر يقصر عنه لسان الواصف"، ثم قدم شرحًا مفصلاً كيف كان يتم إعادة استخدام النفايات بدلاً من تركها تسبب أضرار بيئية وصحية، وكيف أن من خلال ذلك يتم الحفاظ على نظافة المدينة، حيث جاء في ذلك الكتاب: "فإن فيها وفي مخارفيها نحو عشرين حمامًا مجددة البنيان حسنة المخالع والخزائن، مرتفعة القبة مفيئة الجمات، كثيرة الماء واسعة المغاطس والأحواض، نظيفة العرصات.. يتداولها الرجال أوقاتًا والنساء أوقاتًا فيحتاج إلى ما يوقد فيها، فقد أعدوا لذلك خدماً يطلبون ما يجدونه مما يخرج من فضلات الناس والكلاب ونحوها، وما يجدونه من عظام الميتات وغيرها فلا يقنون من ذلك شيئًا، بحيث أن الإنسان لا يجد رائحة خبيثة من قبل ذلك ولا يرى ما يكرهه منها. ومن أسباب النظافة، أن الفلاحين الذين يحراثون الأراضي للزرع والغروس، يطلبون ما يجدونه في الحشوش التي في أسفل البيوت التي عليها المستراحات (بيت الخلاء)، فيدخلون إليها فيأخذون ما يجدونه فيها من الفضلات والرماد ونحو ذلك.



ولا تنجب زروعهم إلا بذلك. ثم يجمعونه طول السنة خارج المدينة في محلات يعدونه فيها إلى وقت حاجته. ومن أسباب ذلك أن كثيراً من اليهود يقصدون لما يجمعه الرائح ونحوها، مما يتساقط من أعلاف الناس وخشاشهم ونحو ذلك، فيبكرون له فيكنسونه ويأخذونه ليحرقون به ما لطف من أعمال المدر "الآنية من الفخار" ولا يصلح إلا بها. فلا يجد الإنسان في شوارع صنعاء ولا خارجها شيئاً مما يعاف لهذه الأسباب.

نعم، وأما ما فضل من الأرماد الذي لا يرى إليه الزراع، وما فضل من نخالات الطين بعد البنيان وكسر الياجور والحجارة، فتحمله المتاربة الذين يدخلون التراب من البراري على بهائمهم "لقصد البناء".

وأما أرماد الحمامات، فإنهم يبيعونه بالثمن ويقصد له من يريد العمل بالقطر، لأنهم يخلطونه بالنورة فيعتقد فينون به أوعية الماء التي تبني بالقطر ولا يصلح إلا به. هذا ومن أسباب نظافة صنعاء، أن أرواث الخيل والحمر والجمال والبقر والغنم، لا يمكن أن ينحط إلى الأرض إلا وقد قصد له غلمان ووليدات من أولاد المساكين يأخذونه ليتخذوه وقيداً لمعايشهم.

ومن أسبابها أن المدر والياجور، لا يصلح إلا إذا خلط فيه السرجين "الزبل"، فيبالغون في شرائه من سواس الخيل وغيرهم، فيبالغون في جمعه ويكنسون ما يجدونه منه في الاصطبلات والأحواش ونحو ذلك، حتى إنهم ليبيعونه وبعضه تراب.

فهذه الأسباب ونحوها هي التي لأجلها نظفت صنعاء من جميع القذارات".

إن تراثنا غني بالإبداع، ولكن من العجيب إننا نقابله بالإهمال والانقطاع عنه مع أننا قد نجد فيه العديد من الحلول والأفكار لمشاكلنا الحديثة. ويكفي أن إعادة الارتباط به سيني لدى الأجيال الجديدة روح الابتكار والثقة بالنفس وتعزيز الاعتماد على الذات، وكل ذلك نفتقره في الحاضر. ولذلك من الأهمية أن نعزز الوعي والإدراك بالضرورة والقيمة الهامة للارتباط بالتراث، وإعادة التعامل معه كصلة تربط بين الماضي والحاضر والمستقبل. ■

(*) خبير الإدارة البيئية / اليمن.



نسب النبي والتطلع الخديجي إلى الصّديقية

لقد كان زواج النبي ﷺ بالسيدة خديجة أم المؤمنين ﷺ، على الطريقة الشرعية المعترف بها قبل الإسلام وبعده، والذي استثنته وخصصته السيدة عائشة أم المؤمنين ﷺ في حديثها عن نكاح الجاهلية، حيث تقول بأنه: "كان على أربعة أنحاء، فنكاح منها نكاحُ الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليّته فيُصدّقها ثم ينكحها" (رواه أبو داود). إذ الروايات كلها تؤكد على أن النبي ﷺ كان قد تقدم إلى خطبة السيدة خديجة ﷺ، بكرامة وتكريم، وخطوبة وخطابة، وولاية وتقديم، وإيجاب

ل

إن زواج النبي ﷺ بالسيدة خديجة أم المؤمنين ﷺ هو أقوى زواج وأنقاه عرفته العرب قبل الإسلام، كما أنه كان نقطة وصل النسب النبوي بما بعده لما قبله، والذي كان محوره هو هذه السيدة الخالدة؛ أم الشرفاء وسيدة نساء أهل الجنة وأم الصديقات في هذه الأمة.

حراه

المجتمع القرشي على مستوى راق وإدراك لمقومات السيادة والريادة، وذلك بالاعتماد أولاً على عنصر العصبية في تأسيس الملك.

إذ تصدرها اعتبار الجانب الروحي كأساس رئيسي في تحديد قيمة القرشية واحتضانها للحرم المكي، والتي في أصلها تنتمي إلى دوحه النبوة والرسالة، كان مبتدؤها من سيدنا إبراهيم ثم إسماعيل عليهما السلام. وهذا ما سيؤكده النبي ﷺ بقوله: "إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم" (رواه الترمذي).

في حين ستذكر المصيرية باعتبارها الممثلة الأكبر قبيلة مؤسسة للعصبية على أوسع نطاقها، كما يقول عنها أبو عمر بن عبد البر: يقال بنو عبد المطلب فصيلة رسول الله ﷺ، وبنو هاشم فخذه، وبنو عبد مناف بطنه، وقريش عمارته، وبنو كنانة قبيلته، ومضر شعبه".

وبهذا فقد كان النبي ﷺ قبل مبعثه، مكتمل البنية الاجتماعية وحاضراً في كل أنماطها الإيجابية، ومؤهلاً للتربع على عرشها، وهذا هو منتهى العصبية وذروة قوتها التي سيني عليها ابن خلدون نظريته في تأسيس الدولة وجدلية البداوة والحضارة، وذلك حينما ذهب إلى أن "الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم، وهذا ما قدمناه من أن كل أمر تحمل عليه الكافة فلا بد له من العصبية. وفي الحديث الصحيح: "ما بعث الله نبياً إلا في منعة من قومه"؛ وإذا كان هذا في الأنبياء وهم أولى الناس بخرق العوائد، فما ظنك بغيرهم ألا تخرق له العادة في الغالب بغير عصبية.. وهكذا حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

وقبول، وصادق وإشهاد.. فكان الزواج وجماله وبهجته بحسب المقام، إشهاراً من غير سر، وإكباراً من غير صغار.

"فأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها فحضر، ودخل رسول الله ﷺ في عمومته، فزوجه أحدهم، وقد اختلف في المزوج لها على أقوال كثيرة، كما اختلف في المزوج له عليه الصلاة والسلام. والصحيح أن المزوج لها عمها عمرو بن أسد، لأن أبها مات قبل الفجار، وأن المزوج للنبي ﷺ عمه أبو طالب. ولما تم الإيجاب والقبول أمرت السيدة خديجة بشاة فذبحت واتخذت طعاماً".

فكان من أدبيات هذا الزواج والعقد الكريم هو تلك الخطبة البليغة التي عبر بها عمه أبو طالب في المجلس، والتي تحتوي دلالات وآثاراً نبوية نورانية واضحة، كما أنها تدل على مستوى الجانب الخلقى الذي كان يتمتع به أبو طالب، والذي نضح من ثمرة كفاله للنبي ﷺ وحب له وعطفه عليه، بل استمداده منه هذا النبع التعبيري والسمو اللغوي أيما استمداد.

وسواء ثبتت الرواية أم لا، بالحرف أو المعنى، إلا أنها عبارة صحيحة وصادقة ترسم الواقع كما هو، وأيضاً فهي متناسبة مع رؤية أبي طالب إلى مقام ابن أخيه نبينا وسيدنا محمد ﷺ والتي مطلعها: "الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضئضئ (أي: أصل) معد، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته، وسواس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوجاً، وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل إلا رجح، وإن كان في المال قل فالمال ظل زائل، وأمر حائل، ومحمد ممن قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله كذا".

وفي المقابل كانت خطبة ورقة بن نوفل ابن عم السيدة خديجة ﷺ، باعتباره رجل كتاب وعلم وأنه أحد عصبتها، وأنه من النخبة المثقفة والمرجعية في المجتمع، وفيها اعتراف بفضل بني هاشم وفضل النبي ﷺ خاصة.

فلو حاولنا تحليل هذه النصوص من الناحية الاجتماعية، فإننا سنجد هذا الوعي قد كان قارئاً في

في دعوتهم إلى الله بالعشائر والعصائب، وهم المؤيدون من الله بالكون كله لو شاء، كونه إنما أجرى الأمور على مستقر العادة، والله حكيم عليم".

ولقد سبق هرقل كحاكم وخبير بأحوال السيادة والسياسة، أن سأل أبا سفيان حين أول ما سأل عن هذا الشأن بقوله: "كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب..."، ثم عقب بعده قائلاً: "سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها".

هذا المقام الاجتماعي سيكون حاضرًا في أذهان القرشيين المعترضين على دعوة النبي ﷺ بعد المبعث ونزول الوحي، وذلك من خلال العرض الذي اقترحوه عليه ليُعدل ويتراجع عن رسالته، ويكفّ عن إبطال وتسفيه آلهتهم وأصنامهم، والتي قد كان أبرزها هو أن يؤمروه عليهم ويلبسوه تاج الملك، لكنه ﷺ أبى هذا العرض. حيث تؤكد لنا هذه الرواية سمو المشهد في رده على إبلاغ عمه إياه اقتراحات قريش: "يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته، قال: ثم استعبر رسول الله ﷺ، فبكى ثم قام، فلما ولّى ناداه أبو طالب فقال: أقبل يا ابن أخي، قال: فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: اذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً".

كما أنه سيختار حينما خيره الله تعالى بواسطة الملك بين أن يكون نبيًا ملكًا أو نبيًا عبدًا، فاختار العبودية التي هي جوهر الملك الحقيقي والحصول على مستلزماته ونتائجه. يقول القاضي عياض في هذا المقام: "وأما تواضعه ﷺ على علو منصبه ورفعة رتبته، فكان أشد الناس تواضعًا، وأعدمهم كبرًا. وحسبك أنه خير بين أن يكون نبيًا ملكًا أو نبيًا عبدًا فاختار أن يكون نبيًا عبدًا، فقال له إسرافيل عند ذلك: فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له أنك سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تشق الأرض عنه، وأول شافع".

الظاهرة الجمالية في نسب النبي ﷺ

فأقصى درجة العصبية عند العرب قد كان هو الانتماء

إلى الكتلة الشعبية التي كان من أبرزها حينذاك قبائل مُضر وربيعة، لكن مضر قد كانت هي المؤهلة لتصدر هذه الريادة بحسب تموضعها عند الحجاز، وبخصوص عوائلها في الصبر والجلد وتحمل الأعباء كما يقول عنهم ابن خلدون: "واعتبر ذلك في مضر من قريش وكنانة وثقيف وبنو أسد وهذيل ومن جاورهم من خزاعة، لما كانوا أهل شظف ومواطن غير ذي زرع ولا ضرع، وبعدها من أرياف الشام والعراق ومعادن الأدم والحبوب، كيف كانت أنسابهم صريحة محفوظة لم يدخلها اختلاط ولا عرف فيهم شوب".

كما أن مضر وربيعة كما يقول محمد رضا: "هم صريح ولد إسماعيل باتفاق جميع أهل النسب".

يضاف إلى هذا كإشارة تناسب روعي وجمالي وخصائص شخصية، بأن مضر جد النبي ﷺ كان جميلًا: "ولم يره أحد إلا أحبه، ومن حكمه المأثورة: "خير الخير أعجله، فاحملوا أنفسكم على مكروهاها، واصرفوها عن هواها فيما أفسدها، فليس بين الصلاح والفساد إلا صبر فواق" والفواق ما بين الحلبتين. ومضر أول من حدا بالإبل، وكان أحسن الناس صوتًا".

وهذا الجمال الخاص أكيد هو من فيض أنوار نبينا سيدنا محمد ﷺ والذي كان له أثره على أجداده بحسب استعدادهم ومواقعهم، إذ الوراثة الجمالية للنبي ﷺ في هذا الجمال والمحبة، هي وراثة استباقية أو استردادية قد تعيد الفضل إلى أهله في الظاهر بعدما كان تزويدها لأجداده بها وهو ما زال في أصلابهم باطنًا. فيه ﷺ تميزوا وعليه رجعوا بما استودعوا.

هذا الاستطراد في عرض هذه الخصائص القبلية والاجتماعية عند قريش، ووجود النبي ﷺ فيهم ومنهم، قد كان من تلخيص ما عبر عنه أبو طالب عند خطبة الزواج، ثم تعقيب ورقة بن نوفل عليه.

فلقد رسم لنا الواقع الاجتماعي العربي والقرشي خاصة، من حيث قوة عصبية وثبات مبادئه، وبعد آفاقه في حماية النسب وتقويته والحفاظ على صفاته ووضوحه.

إن زواج النبي ﷺ بالسيدة خديجة أم المؤمنين ﷺ هو أقوى زواج وأنقاه عرفته العرب قبل الإسلام، كما

أنه كان نقطة وصل النسب النبوي بما بعده لما قبله، والذي كان محوره هو هذه السيدة الخالدة؛ أم الشرفاء وسيدة نساء أهل الجنة وأم الصديقات في هذه الأمة. فقد قال ابن هشام في كتابه السيرة النبوية: قال ابن إسحاق: "فولدت لرسول الله ﷺ ولده كُلهم إلا إبراهيم: القاسم، وبه كان يُكنى ﷺ، والطاهر، والطيب، وزينب، ورُقَيَّة، وأم كلثوم، وفاطمة، عليهم السلام".

إن علاقة السيدة خديجة أم المؤمنين ﷺ بالنبي ﷺ لم تكن علاقة زمان ومكان، ولا مصالح أو مجرد استمتاع، وإنما هي صلة وجودية، ومسألة مقام بالدرجة الأولى غير قابلة للتوسط والمقارنة، كما أنها كانت علاقة محبوبة متواصلة ومتسامية بالروح والجسد، بالذكر والتذكير، بالإشارة والبشارة، وتحقيق استمرارية الحضور في وجدان الأمة بحضور صورتها وصفائها ﷺ في كل عترته الطاهرة ونسل الشرفاء المنحدرين من رحمها الطاهر إلى يوم الدين.

فكان جوهر هذا التواصل واستمرارية الحضور، يتجلى في ثناء النبي ﷺ عليها، وذكر فضائلها بالترديد، والتأكيد على رسوخ مقامها واستقراره في أعلى المراتب. هذا مع العطف والتأكيد على أهم ما يزيد قوة وفخرًا ومنقبة وفضلاً، وهو أنها ولدت له ذكورًا وإنثاءً لتحقيق صفة الكمال في الأنوثة والرحمية، التي هي من مظاهر كمال رجولة النبي ﷺ وشمولية رسالته وعدالته لكل الأجناس، وأنه ليس بأبتر أو مقطوع النسل، سواء على مستوى الأبدان أو الأرواح.

وهذه المعاني تتجلى بوضوح في حديث السيدة عائشة أم المؤمنين ﷺ حينما قالت: "ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها، ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له كأنه لم يكن في الدنيا إلا خديجة، فيقول: إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد".

والتركيز على "وكان لي منها ولد" له دلالات الاستمرارية والحضور التشخيصي للنبي عن طريق آل بيته ممن جمعوا بين كمال النسب وكمال الروح

والنسبة، الركن الأساس في تحقيق هذا التواصل. إذ فضلهم مستمد من فضله ﷺ وحبه من حبه، ومن مظاهر امتزاج هذا الحب وقوة عراه أن أنتجت الولد منه، أي أنه حب مؤلّد، ومتفرع من الذات ونحو الآخر بالتسلسل الانبعاثي المتجذر.

وهذا ما يمكن أيضًا تفسيره بالربط بين رواية البخاري ورواية مسلم التي جاء فيها عن السيدة عائشة أم المؤمنين ﷺ أيضًا: "فأغضبته يومًا فقلت: خديجة؟ فقال: إني رزقت حبه".

فحبها حب مقام وفضل وليس أنه مكتسب بحسب الظواهر المادية وتبادل المصالح أو مجرد عاطفة ذاتية، إذ النبي ﷺ لا يفيض محبته ويمنحها إلا لمن هو أقرب منه فالأقرب، والسيدة خديجة ﷺ قد كانت في مقام السيادة وبنينا سيدنا محمد ﷺ هو سيد الخلق وسيد ولد آدم. وهنا كان التناسب في هذا الحب السيادي الراقى، والذي قد نالت قصب السبق فيه سيدتنا خديجة أم المؤمنين ﷺ ببشارته ﷺ وتخليده لذكرها في العالمين حينما قال على صيغة الضمير المفيد للعموم: "خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة"، وفي رواية مسلم تفسيرًا: قال أبو كريب: وأشار وكيع إلى السماء والأرض".

والخيرية والسيادة مترادفتان أو متلازمتان على كل حال، وملازمة السيد والفوز برضاه سيادة وخير، وهذا ما يفسر به مقام سيدتنا خديجة ﷺ في علاقتها بالنبي ﷺ، وهو أنها لم يكن يوجد لها منافس في المقام، ظاهرًا وباطنًا، ومن ثم فلم يتزوج ﷺ عليها غيرها في حياتها، حيث لا مدعاة للزيادة أو التنوع في المظاهر والمقامات، كما قالت السيدة عائشة أم المؤمنين ﷺ: "لم يتزوج النبي ﷺ على خديجة حتى ماتت".

لم يتزوج النبي ﷺ على السيدة خديجة أم المؤمنين ﷺ وإن مات لها الولد، لأن العلاقة التي كانت بينهما هي علاقة مقام، وهو ما لا يمكن له أن يموت أو يتخلى عنه أبدًا لصفته التصاعديّة والمتسامية. ■

(*) كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة / المغرب.



البعد الفلسفي للتعايش ودوره في التعدد الثقافي

من نماذج التعايش والتسامح والاعتراف بالآخر المختلف من الناحية الدينية والاجتماعية والسياسية، ففي الحضارة البابلية ساد التعايش نتيجة الديمقراطية البدائية، وكان تسامحاً سياسياً إيجابياً داخلياً فعّالاً. كما عرفت الحضارة الهندية (البوذية) تعايشاً إيجابياً في المجال الاجتماعي. والشيء نفسه بالنسبة للحضارة الصينية (الكونفوشيوسية) التي قامت على التسامح الإيجابي الداخلي والخارجي العالمي، من خلال ما جاء به كونفوشيوس من تعاليم، تحترم العادات والتقاليد الموروثة. كما عرفت الحضارة اليونانية تعايشاً نسبياً إلى حد ما. فعلى الرغم من انحصارها داخل الإقليم

إن التعايش والوسطية من أهم العناصر التي تشكل تماسك الأمم. ومن الطبيعي أن تكون الأمم مختلفة ما دامت الثقافات مختلفة ومتنوعة. كما أن مستويات الحضارة تشهد هي الأخرى تنوعاً باعتبار أن هناك تلاقحاً بين الثقافات. يتمخض عن هذا التمازج ميلاد فكر جديد وإيديولوجيات متنوعة يضمن التنوع الثقافي حمايته بمراعاة تواصل إيجابي وحوار فعال بين المجتمعات. إن فلسفة التعايش ليست وليدة فكر راهني فحسب، بل لها جذورها العميقة في الحضارات الإنسانية الأولى. لقد عرفت الحضارات القديمة أنواعاً مختلفة



نجاح التنوع الثقافي والفكري، يحتاج إلى بنية ذهنية متحررة، تكفل حرية الرأي والتعبير في ظل أنظمة ديمقراطية، تحقق للجميع فرصًا متساوية في مجالات كافة. كلما كان التنوع الثقافي متاحًا ومحميًا، كلما كان أكثر تأثيرًا في تجديد أنشطة المجتمع وأفكاره وتوجهاته.

حدا

الثقافية المشتركة بين الشعوب التي تتفاعل مع بعضها. يؤدي هذا التفاعل إلى ظهور تأثيرات جزئية أو كلية في طبيعة هذه الثقافات وفي خصائصها.

إن الثقافة نمو معرفي تراكمي على المدى الطويل، بمعنى أنها ليست علومًا أو معارف جاهزة يمكن للمجتمع أن يحصل عليها ويستوعبها ويفهمها في زمن قصير. والحوار هو نشاط ذهني، وشفهي، يعمل المتحاورون من خلاله على تقديم البراهين، والأدلة التي تؤيد وجهات النظر التي يتبناها كل واحد، من أجل الوقوف مع الآخرين على أرضية واحدة. لهذا، فالحوار أسلوب راق للحديث عما يستجد من قضايا الإنسان.

إن انتشار ثقافة الحوار ليس بالأمر الهين، غير أن في انتشارها تحقيقًا لغايات عميقة، تنتشر مع ثقافة الحوار فكرة تقبل الآخر المخالف، والتعامل معه على المستوى الإنساني، ووضع الاختلافات جانبًا. كما تتضمن أيضًا إصلاحًا للمجتمعات الفاسدة، ونموًا، وارتقاءً على كافة الصعد.. حيث يتجاوز الحوار البعد الإقصائي، مما يؤدي إلى استغلال كافة القدرات من أجل التنمية والإصلاح، وهو ما يعتبر منتهى آمال الناس في شتى أصقاع الأرض. فقد عبر محمد عابد الجابري عن هذا بالحوار المرتبط بوجود الاختلاف، لأن الحوار لا يقوم ولا يتأتى إلا بوجود حد أدنى من الاختلاف^(١).

لكن الاختلاف الذي يقصده الجابري، ليس هو الخلاف، بل تنوع الرؤى وتلاقيها عن طريق التعايش وتبني الاعتدال، حتى لا تتسع دائرة الاختلاف ويتولد الخلاف. لهذا، يعتبر الحوار البناء، وسيلة للتقارب بين الثقافات، قصد إيجاد تنوع ثقافي إيجابي باعتباره سنة

اليوناني، فإنهم عرفوا نوعًا من التلاقح الثقافي نتيجة التنقلات والرحلات التجارية التي عرفتها بلاد اليونان. لهذا، يجد الإنسان اليوم نفسه أمام العديد من الأسئلة، أبرزها: هل مبدأ التعايش والتسامح والحوار باعتباره أسلوب حياة يبدو للمتأمل في النسيج الاجتماعي والديني والتنوع البشري ضرورة وحتمية للبقاء وليس مجرد خيار هامشي؟ هل أضحت فلسفة التعايش في المجتمعات الراهنة حتمية أساسية خاصة في ظل الأوضاع التي يشهدها العالم اليوم من انفتاح شاسع على مختلف المستويات؟ هل أصبح الحوار الحضاري رؤية إستراتيجية للمجتمعات، وأن قدرها أن تلعب أدوارًا متقدمة في ترسيخ التسامح الديني والتنوع الفكري، من خلال تعزيز فلسفة التعايش والحوار الحضاري المشترك في عالم سادت فيه تيارات العنف والتطرف والصراع؟ هل مواجهة هذه التحديات وغيرها، منوطة بتكريس فلسفة التسامح والإصرار على جعل التعايش أولوية قصوى وخلق تنوع ثقافي يستفيد منه الجميع؟ كيف تساهم فلسفة التعايش والوسطية في الحفاظ على التنوع الثقافي؟ ما المعايير التي يمكن الالتزام بها حتى يتم إنتاج ثقافة متنوعة بناءً؟

المكون الثقافي والتعدد الحضاري

تتكون الثقافة وتبلور من خلال عدة مكونات، أبرزها الأفكار والعادات والتقاليد.. ترتبط بأسلوب الحياة المُتَّبَع لدى أي أمة أو شعب في الحياة الاجتماعية وقوانينها، حيث تعد اللغة العامل الأساسي الذي يبين واقع كل الأمة، وتراثها الفكري والحضاري. كما أن الثقافة تنمو مع النمو الحضاري للأمم، لكنها قد تتراجع مع مرور الوقت بسبب عدم الاهتمام الكافي بها، مما يؤدي إلى تراجع الهوية الثقافية الخاصة بالعديد من الشعوب.

تعتبر الثقافة عمومًا عن الخصائص الحضارية والفكرية التي تتميز بها الأمة. لكن على الرغم من الاختلاف القائم بين الثقافات، فإن ذلك يؤدي في النهاية إلى تحفيز اللقاء بينها، قصد تعزيز دور العناصر

الحياة والكون والطبيعة، لكونه يحقق التأزر ويبحث عن المساحة المشتركة لنشر الأيديولوجيات.

لهذا، فنجاح التنوع الثقافي والفكري، يحتاج إلى بنية ذهنية متحررة، تكفل حرية الرأي والتعبير في ظل أنظمة ديمقراطية، تحقق للجميع فرصاً متساوية في مجالات كافة. كلما كان التنوع الثقافي متاحاً ومحمياً، كلما كان أكثر تأثيراً في تجديد أنشطة المجتمع وأفكاره وتوجهاته. لكن لا يتحقق ذلك إلا من خلال تفتح عام بناءً، يجعل من مبدأ الاعتدال والتعايش والحوار منطلقاً له، ليخلق تواصلًا مبنياً على التفاهم.

ذلك أن العولمة باعتبارها ظاهرة كونية، تفرض نفسها على الذهنيات، مما ينعكس على الإيديولوجيات التي يتبناها كل طرف على اعتبار أن التعايش ومبدأ الاعتدال يسمحان بجعل التمازج بين الثقافات متنوعاً ومتعدداً، مما يجعل العولمة حتمية لا يمكن غض الطرف عنها. لأن التنوع الثقافي الذي شهد نطاقاً واسعاً على مستوى العالم العربي، أدى إلى ذوبان أو انصهار الثقافة الأصلية في الثقافة الوافدة التي تحاول أن تفرض نفسها على المجتمع الذي يعاني من هشاشة في بنيته وتركيبته، مما أدى إلى فرض ثقافة الآخر باسم التعايش، مدعية أنها محافظة على خصوصية المجتمع. لكن الواقع يبين خلاف ذلك، حيث تبرز إشكالية على مستوى كيفية التعامل مع الثقافات بمجرد قبول الآخر، بحجة التسامح والاعتدال، حيث نلاحظ طغيان ثقافة على أخرى، تسعى كل واحدة لمحو وطمس الأخرى. على الرغم من أن الواقع يبين أن هناك تنوعاً خدم كل الفئات، لكن سرعان ما نلاحظ أن هناك اضمحلالاً للموروث أو الثقافة الأصل. لهذا، فإن العولمة أدت إلى انزعال العناصر والممارسات الثقافية عن سياقاتها^(٧).

ففي ظل العولمة تظهر إشكالية الهويات، لأن الإقرار بالتعدد قد يلغي القول بالهوية كما يلغي التفاضل بين الثقافات، مما ينتج نوعاً من الصراع. لكن عندما يتم تجاوز هذا الصراع، يحصل الارتقاء على مستوى التعايش، ويسود الاعتدال والتكافؤ بين الذهنيات في مختلف مستويات الحياة، ليسود التسامح حسب ما قرره مالك بن نبي عندما اقترح في تعريفه للثقافة في كتابه

"شروط النهضة" تعريفاً مزدوجاً؛ تميز الأول بتعريف تاريخي، أما الثاني فيبداغوجي. يحمل الأول معنى جوهرياً؛ يرتبط بالإنسان الذي يحمل حضارة تؤثر على المجتمع السائر باتجاه مصير واحد. أما التعريف الثاني فيربط موضوع الثقافة ووسائلها بنظرية للسلوك العام لدى شعب ما برمته من خلال تلاقح وتواصل وحوار. بمعنى، من خلال ثقافة التعايش والاعتدال، فتأثرت الثقافة في ظل العولمة تأثيراً إيجابياً، وفي الآن ذاته سلبياً. فالجانب الأول ساهم بصورة فعالة في الانفتاح وخلق إثراء تراكمي معرفي ومعلوماتي، أدى إلى تطور الثقافة والعلوم المعرفية بكل مجالاتها، فساهمت العولمة بشكل ملحوظ في إثراء الحركة الثقافية على مستوى العالم.

أما الجانب الثاني (السلبى)، فأدى إلى زعزعة الكيان الهوياتي للمجتمع المستهلك من خلال وسائل الإعلام المختلفة التي ساهمت في تداول المعلومات من كل بلدان العالم، وصبها في مختلف البلدان والأديان والعادات والتقاليد.. مما أدى إلى عدم القدرة على التعاطي مع هذا النوع من الثقافات الوافدة، بحيث تم اكتساب ثقافات جديدة ومغايرة بشكل واضح عن الثقافة الأم. أثرت العولمة بكل قوة على الثقافة، كما أدت إلى انفتاحات عالمية كثيرة كانت سبباً رئيسياً فيها، على الرغم من اختلاف هذا التأثير سواء بالسلب أم بالإيجاب.

التعايش وأثره على التنوع الثقافي

ينطوي المجتمع الإنساني على درجة كبيرة من التباين والوحدة، في الوقت نفسه يتجلى التباين في عدد كبير من الأعراف والأجناس والأديان والثقافات التي تحمل قيم التنوع الثقافي. أما الوحدة، فتتجلى في أن كل عناصر هذه التجمعات يشترك في كونها تسعى للعيش في كرامة وسلام وتحقيق طموحاتها، ومصالحها. لهذا، فإن ما يجمع الناس هو أكثر مما يفرقهم. لكن احتكاك المجتمعات اليوم، أصبح يشوبه نوع من الارتباك والهشاشة، مما يستوجب مراجعة الذات (المجتمعات لذاتها)، لكي تتصالح من جديد للمحافظة على التنوع الثقافي الراقي. وذلك

بالرجوع إلى الدين ومبادئ التسامح واحترام الآخر المختلف، والمحمّل بثقافة أخرى مغايرة تصبو إلى التنوع. لا يجد هذا الأخير نجاعته وانتشاره إلا من خلال المبادئ الروحية، والتعايش والاعتدال ونبذ التطرف والعنف، من خلال حوار عقلائي، فيه احترام حرية الآخرين في شكل حضاري لا نمطي، يؤسس ويؤطر لوحدة شاملة وقوية تجمع أغلب الثقافات تحت مظلة التعايش والاعتراف، وتشجيع الانفتاح الفكري، والمعرفي مع تنمية مهارات التفاهم.. مما يعمق التسامح والعدالة بين فئات المجتمع⁽³⁾. لهذا، فإن الدعوة للمحافظة على التنوع الثقافي، معناها دعوة لإحلال سلام وتعايش واعتدال كمراتب عليا، حتى تنجح الثقافة الخصبة والمتشعبة بروح ثقافات أخرى في الحفاظ على قوتها، دون أن يكون هناك طمس لروحها الأصيلة وذوبانها.

التعايش في الفلسفة الغربية

يعد التسامح عند "جون لوك" من القواعد الأساسية التي يقوم عليها المجتمع المدني، لأنه بمثابة الفضيلة المدنية لهذا المجتمع. لأن القاعدة العامة للتسامح تكمن في اتفاق الأفراد الذين يعيشون ويتكون غيرهم يعيشون⁽⁴⁾. بهذا، قدّم "لوك" فلسفة متكاملة، تشمل جوانب سياسية وفلسفية وأخلاقية وتربوية. وإن المبدأ الأساسي الذي يكتنف ماهية التسامح والتعايش حسب الفيلسوف الألماني "أكسيل هونيث" هو الاعتراف. فلا يمكن ألبتة تصور موقف تسامح وتعايش بين المجتمعات، إلا من خلال الاعتراف المتبادل. ذلك أن الطرفين يعترفان نفسيهما من خلال اعترافهما ببعضهما اعترافاً متبادلاً. كما تناول "أكسيل هونيث" مدلول الاعتراف، وربطه بالمنحى العلائقي السوسولوجي، حيث يحصل التفاعل الاجتماعي والتلاقح الثقافي، مما يحد من التناحر الاجتماعي وصور الازدراء والاحتقار.

يعدّ نموذج الحب صورة مثلى للتسامح بين الذوات، إذ بفضل التعاطف في الأسرة وعلاقات الصداقة والمحبة بين البشر والتراضي بينهم، تتحقق سبل الاعتراف

والتسامح. فالحب - وفق منظور أكسيل هونيث - يسمح للفرد بتحقيق الأمن العاطفي⁽⁵⁾. كما يتمظهر الاعتراف باعتباره إتيقا من خلال التضامن الاجتماعي داخل نسيج العلاقات السوسولوجية والثقافية. أما الفيلسوف "إدغار موران"، فاعتبر التعايش إتيقا وفلسفة إيجابية بين المجتمعات، لأن المجتمع في ظل الذكاء الأعمى على حد تعبيره، أدى بالإنسان المعاصر إلى منحى الضوضاء والأسلحة والنزاعات، وأنماط تحررية زائلة وانقلابية ومضايقات فظيعة وتخويف سياسي وقسوة بشرية تمزق القلب. لهذا، فالحل حسب "إدغار موران"، هو انتهاج فلسفة التعايش التي تخلق التنوع على أصعدة عديدة فكرية وثقافية. كما أن إحقاق التسامح، يستوجب منهجاً سليماً في آلياته وضوابطه، حتى يلقي ترحيباً من لدن الجماعة الإنسانية. فتقبل الآخر والاعتراف به لعرقه أو دينه أو سياسته هو الأصل، لكن عندما نعدم إلى القطع والفصل، فإننا في حقيقة الأمر، نستأصل الإنسان من الطبيعة. لهذا، يخلص "إدغار موران"، إلى أنه لكي نحقق تسامحاً كوثياً، لا بد في مقابل ذلك من الاستشراق على مستقبل الهوية البشرية جمعاء، التي ترتبط باحترام الناس لمطلب إحقاق الهوية الكوكبية، يتحول معها الفرد الإنسان إلى الشخص الكوني. لهذا، يكون مصير التاريخ ومصير الكوكب متجانسان من خلال الاندماج. ■

⁽³⁾ كاتب وباحث مغربي.

الهوامش

⁽¹⁾ إشكالية الفكر العربي المعاصر، الجابري (محمد عابد)، ط ٣، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٤، ص: ٥٢.
⁽²⁾ حوار الحضارات، زويل (أحمد)، ط ١، دار المعارف، مصر ٢٠٠٧، ص: ١١٢.

⁽³⁾ غاندي رسالة اللاعنف والتسامح، عطا صديق (رامي)، ط ١، دار جداول، الأردن ٢٠١٤، ص: ٢٠٤.

⁽⁴⁾ رسالة في التسامح، لوك (جون)، ترجمة: أبوسنة، ط ١، المجلس الأعلى للثقافة، مصر ١٩٧٧، ص: ١١٧.

⁽⁵⁾ Axel Honneth, Reconnaissance et reproduction sociale (in) la reconnaissance à l'preuve explorations socio-anthropologiques, Paris, édition septentrion, presses universitaires, 2008, p51.

لماذا التثاؤب يُعدي؟

صعد الإنسان إلى القمر، وأماط اللثام عن أسرار عديدة في الفضاء وعلى الأرض، لكن رغم ذلك ما تزال العديد من الظواهر التي تبدو بسيطة، لم يستطع العلم فك طلاسمها حتى الآن. ومن هذه الطلاسم، ظاهرة "التثاؤب" التي حيرت العلماء، ولم يجدوا لها تفسيرًا شافيًا حتى الآن. فقد بدأ الكثير من العلماء والباحثين في إجراء العديد من الدراسات لحل لغز ظاهرة التثاؤب. ما هو التثاؤب أصلاً؟ ولماذا يقوم الإنسان بالتثاؤب؟ وهل التثاؤب مفيد أم لا؟ التثاؤب حركة لا إرادية ومُعديّة، نقوم بها جميعًا في كل وقت وكل مكان، والهدف منها ملء الرئتين بالهواء إلى أقصى حد. وفيها يفتح الشخص فاه بشدة، لدرجة يكون فيها حجم فتحة البلعوم أكبر بأربع مرات من حجمها في الأوقات العادية. ويستمر التثاؤب حوالي ست ثوان، تتقلص فيها عضلات الوجه والرقبة، ويصاحبهما إغلاق للعينين، وخلال ذلك تتوقف جميع المعلومات الحسية لفترة من الوقت تكفي لعزل الشخص عن عالمه تبعًا لمدة التثاؤب، ومن الصعب محاربة

ص



إن الرغبة في التثاؤب تحدث غالبًا عند حدوث نقص في كمية الأكسجين، وزيادة كمية ثاني أكسيد الكربون داخل جسم الإنسان ما يبعث شعورًا بالتعب والخمول، فيبدأ الدماغ بإرسال إشاراتٍ إلى الرئتين لبدء عملية التثاؤب.

حذاء

أن التثاؤب يعصر كيسي الدمع الملتحقين بالعينين عصرًا قويًا فيجدد ما فيهما من مفرزات، ويطردهما ما قد يكون تراكم فيهما من أملاح، وبهذا يمنع انسداد قنوات الدمع.. وربما كانت للتثاؤب فوائد أخرى ما زلنا نجهلها. أظهرت دراسة أجريت عام ٢٠١٥، ونُشرت في مجلة "كوغنييف برين ريسيرش" المتخصصة في أبحاث الدماغ المعرفي؛ أن الشبكات المسؤولة عن التعاطف والمهارات الاجتماعية في المخ، تنشط عندما نرى أحدًا يتثاؤب.

عدوى التثاؤب

التثاؤب هو أكثر الحالات انتقالًا بالعدوى على الإطلاق، إذ يكفي أن يتثاؤب شخص واحد في مكان به جمع غفير من الناس ليتثاؤبوا جميعًا خلال لحظات. كما أنه ليس بالضرورة مشاهدة شخص يتثاؤب حتى تبدأ بالتثاؤب، إذ يكفي التفكير به فقط.. وقد توصل باحثون من جامعة "ديوك" في "دورهام" بولاية "نورث كارولينا"، إلى أن التثاؤب عند مشاهدة آخرين يفعلون ذلك يرتبط بالسن وليس بقدرة الأفراد على التعاطف كما كان يعتقد العلماء سابقًا. فقد أظهرت دراستهم أن التقدم في السن له علاقة أقوى بظاهرة التثاؤب المعدي من التعب ومستويات الطاقة، كما أن المرضى الذين يعانون من التوحد وفصام الشخصية، أقل قدرة على التأثر بالتثاؤب. وقد تمت الدراسة على ٣٢٨ مشاركًا بعرض فيديو مدته ثلاث دقائق يظهر أشخاصًا يتثاؤبون، وعلى المشارك أن يضغط على الزر في كل مرة يتثاؤب فيها. ووجدت الدراسة أن نسبة التثاؤب تزداد في من تقل أعمارهم عن ٢٥ سنة، حيث تثنأب ٨٢٪ منهم، بينما وصلت النسبة إلى ٦٠٪.

الرغبة في التثاؤب عند الشعور به.

عندما نتثاؤب، نقوم بسحب الهواء البارد من خلال الأنف وتجاويف الفم، ويقوم هذا الهواء بالاتصال بالأوعية الدموية التي تحمل الدم مباشرة إلى الدماغ، وموجة الهواء هذه تُبرد الدم، وبالتالي الدماغ.

وقد أظهرت الأبحاث العلمية، أن أدمغتنا تصبح أكثر سخونة قبل أن نغفو، وعلى الفور بعد أن نستيقظ. وهذا ما يفسر لماذا نقوم بالتثاؤب قبل الذهاب للنوم، ومباشرة بعد الاستيقاظ، وبالتحديد قبل أول فنجان قهوة صباح.

لماذا يقوم الإنسان بالتثاؤب؟

الحقيقة أن الرغبة في التثاؤب تحدث غالبًا عند حدوث نقص في كمية الأكسجين، وزيادة كمية ثاني أكسيد الكربون داخل جسم الإنسان، ما يبعث شعورًا بالتعب والخمول، فيبدأ الدماغ بإرسال إشاراتٍ إلى الرئتين لبدء عملية التثاؤب. التثاؤب فعل نقوم به في الغالب يوميًا، ولا يعرف العلماء يقينًا سبب حدوثه، ولا الأسباب التي تجعل التثاؤب سلوكًا معديًا بين الكائنات الاجتماعية مثل البشر. ويعتقد بعض العلماء، أنه فعل انعكاسي يقي الرئة من الضمور، في حين يفسر علماء النفس أن التثاؤب دليل على الصراع بين النفس ومغالبتها للنوم من جهة، وبين الجسد وحاجته للنوم من جهة أخرى. والتفسير الأكثر شيوعًا هو أن التثاؤب يحصل عندما يكون مستوى الأوكسجين منخفضًا في الجسم، مع ارتفاع مستوى ثاني أكسيد الكربون.

فوائد التثاؤب

ومن فوائد التثاؤب أنه يجبر المرء على استنشاق كمية إضافية من الهواء، ونتيجة ذلك يفتح المزيد من الحويصلات الرئوية التي لا تفتح بالتنفس العادي، وبهذا يجدد الهواء في تلك الحويصلات وينشط عملها، ويوسع الرئة، ويحسن مستوى الأوكسجين في الدم، ويساعد المخ في مواجهة مواقف متغيرة، ويزيد من فاعلية المفاصل والعضلات والقلب، ويؤدي إلى الشعور باليقظة ويمنح الجسم بالنشاط المؤكد.. كما

في الأعمار بين ٢٥-٤٩ سنة، ووصلت إلى ٤١٪ في من تزيد أعمارهم عن ٥٠ سنة.

نظريات وفرضيات

ظهرت العديد من النظريات حول أهمية التثاؤب للجسم، منها:

أ- **زيادة اليقظة:** حيث تزيد حركة التثاؤب من اندفاع الدم إلى المخ، عن طريق انقباض عضلات الوجه وتحفز المنطقة العصبية في المخ، التي تلعب دوراً رئيسياً في زيادة الوعي، مما ينقلنا من حالة عدم التركيز والشروود إلى حالة اليقظة مع زيادة التركيز والذاكرة الجيدة، بل وأيضاً يساعدنا التثاؤب في التخلص من الشعور بالنعاس على عكس ما كنا نعتقد قديماً.

ب- **النظرية التنفسية:** والتي تقول بأن الجسم يحدث التثاؤب ليتمكن من جلب المزيد من الأكسجين أو طرد ما يتراكم من ثاني أكسيد الكربون، لكن صواب هذه الفرضية لا يتوافق مع ملاحظة أننا نتشاءب أثناء التمارين الرياضية. وقد اختبرت هذه الفرضية من العالم النفسي "روبرت بروفين" من جامعة "ميريلاند" وأحد خبراء التثاؤب، ووجد أن إعطاء مزيد من الأكسجين لمجموعة من الناس لا ينقص التثاؤب، كما أن إنقاص كمية ثاني أكسيد الكربون في بيئة تنفس هؤلاء الناس لم يمنع حدوث التثاؤب. وهذا الأمر لا ينطبق على الأجنة، فقد كشف التصوير السمعي أن الأجنة بدءاً من الشهر الثالث تتشاءب لدرجة يخال فيها المرء أن فكها سيتزعج من مكانه. وعلى الرغم من ذلك فإن الجنين لا

يسحب أدنى جزئية من الأوكسجين.

ج- **تحسين الحالة المزاجية:** يرفع التثاؤب مستوى بعض المواد الكيميائية المسؤولة عن السعادة، ويسبب بطء موجات المخ، ويساعد على استرخاء العضلات، وبالتالي يخفف الضغط النفسي ويساعدنا على الاسترخاء.

د- **تبريد الدماغ:** يتأثر مخ الإنسان بالحرارة مثله مثل الحاسب الآلي، لذلك فهو بحاجة إلى آلية تبريد تقيه من أضرار السخونة المفرطة لكي يعمل بشكل أفضل. وقد قام بعض العلماء بافتراض نظرية أن التثاؤب يساعد على تبريد المخ، وتعتبر هذه النظرية الأكثر منطقية؛ لأن الدراسات -فعلاً- أثبتت أن المخ يفكر بكفاءة أعلى في درجات الحرارة الباردة عن الساخنة. ولاحظ العلماء أن الجيوب الفكية الواقعة على جانبي الأنف، تمتلئ بالهواء مثل المنفاخ وتبرد المخ.

فقد أظهرت دراسة علمية أن "التثاؤب يرسل هواء بارداً إلى العقل فيجعله في حالة يقظة". كما أظهرت ذلك دراسة أخرى نقلها موقع "أبوتيكز أو مشاو" الإلكتروني، أجريت على الحيوانات عام ٢٠١٠، وفيها تضاءت الفئران في كل مرة ارتفعت فيها درجة حرارة أدمغتها، وانخفضت حرارة أدمغتها بعد التثاؤب، ثم أجريت تجارب مشابهة على البشر، حيث كانت درجات الحرارة خارج الجسم أكثر منها داخله. ووجد الباحثون أن الإنسان أقل تثاؤباً في هذه الحالة التي يكون فيها دماغه أبرد من المحيط الخارجي. وفي دراسة أخرى لوحظ أن البشر إجمالاً يكونون أكثر تثاؤباً في فصل الصيف. لذلك فإن هذه





الكلاب والقطط والقرود ومجموعة واسعة من الثدييات الأخرى. التثاؤب هو تكيف تطوري، موجود عند البشر منذ ملايين السنين، وبما أنه ظاهرة عالمية، فإنه لا بد أن يكون شيئاً مفيداً أو إلى حد ما ساعد من أجل البقاء. في حين أنه لا يوجد تفسير جاد وسريع لطبيعة التثاؤب المعدية، إلا أن أفضل تخمين هو أنه وسيلة لا إرادية للتواصل مع الآخرين. في الأساس، فإنه إذا شاهدت شخصاً ما يتثاؤب أمامك، فهناك فرصة جيدة لكي تعاني من نفس الظروف، وتقوم بتبريد دماغك بالمثل. ويرتبط التثاؤب بجانب من إنسانيتنا وهو التعاطف، فعندما نرى شخصاً ما يتثاؤب، يتم مباشرة تفعيل نظام الخلايا العصبية المرآتية للمخ، وتولد أجسادنا التثاؤب بشكل عفوي رداً على ذلك.

فيما نشأب عندما نشعر بالتعب أو عندما نشعر بالملل أو عندما نشعر بالجوع، لكن الأسباب الحقيقية والوظيفة الدقيقة للتثاؤب ما تزال لغزاً. ومن المدهش أنه من الموضوعات التي لم تلق التوثيق الكافي في عالم العلم، فلا يزال التثاؤب وأسبابه موضع دراسة لم تنته إلى حسم كل الأسئلة حوله بالأدلة القاطعة.. إنه لغز عصي عن الحل. ■

(*) استشاري في طب وجراحة العيون / مصر.

النظرية ما زالت تطرح أسئلة مفتوحة في حاجة إلى إجابة، وما زالت الأبحاث متواصلة لحل لغز التثاؤب والتوصل إلى تفسير أكيد لهذه الظاهرة.

بقي أن نعرف أن التثاؤب الزائد قد يكون علامة مرضية، فهناك أمراض كثيرة تزيد من التثاؤب، مثل الأمراض العصبية التنكسية المزمنة مثل مرض الرعاش والجلطات الدماغية ومشكلات فص المخ الأمامي وزيادة ضغط المخ والصرع، وغيرها من الأمراض العصبية. كما أن بعض الأدوية قد تزيد من التثاؤب، مثل بعض مضادات الاكتئاب وهرمون الإستروجين. أيضاً قد تزيد الحمى من التثاؤب وكذلك التهاب السحايا الحاد والفشل الكلوي وفشل الكبد ونقص الغدة الدرقية وتقرحات المعدة وغيرها.

لغز غامض

احترار العلماء في تفسير عدوى التثاؤب التي قد تجتاح مجموعة من الأفراد يتواجدون مع بعضهم في وقت واحد. وقد خلصت دراسات عديدة حاولت تحليل هذه الظاهرة إلى نتائج متضاربة تجعل العلم لا ينجح فعلياً في فهم هذه الظاهرة تماماً. التثاؤب ليس شيئاً من اختراع البشرية، وليس شيئاً مُقتصرًا على جنسنا البشري، بل يشمل العديد من الكائنات الأخرى، بما في ذلك



كيف ننقش عالم أطفالنا؟

الطفل كالورقة بيضاء، فدوّن فيها كلّ شيء، ولكن احرص على أن يكون ما تدوّنه، في سبيل مرضاة الله تعالى؛ حتى تصبح تلك المدوّنات نقوشاً تكبرها الملائكة، وترجّح بها كفة الميزان يوم الحساب لعظم قدرها وقيمتها.. نقوشاً يُبتغى بها مرضاة الله ﷻ، والافتداء بنهج سيدنا رسول الله ﷺ. تروي امرأة قصة عجيبة، تقول: كنت في زيارة لإحدى صديقاتي



إن الطفل ستكون أفعاله كأفعال أبويه، ومهما
نصحاہ بفضائل الأعمال ومكارم الأخلاق ولم
يتحلوا بها، فلن يتحلى ابنهم بها طالما لم
يجدها مجسدة أمامه.

حزاء

جلست الأم وجلس أولادها حولها.. أعمارهم
تتراوح ما بين العاشرة إلى الثالثة.. جلسوا جميعهم
مستعدين ومتحمسين.

بدأت الأم وبدؤوا معها في قراءة سورة الإخلاص
"قل هو الله أحد.. الله الصمد.. لم يلد ولم يولد.. ولم
يكن له كفواً أحد".

ثم كرروها عشر مرات.

عندما انتهوا صرخوا بصوت واحد فرحين: "الحمد
لله بنينا قصرًا في الجنة!".

سألتهم الأم: وماذا تريدون أن تضعوا في هذا القصر؟
رد الأطفال نريد كنوزًا يا أمي.. فبدؤوا يرددون "لا
حول ولا قوة إلا بالله".." لا حول ولا قوة إلا بالله".

ثم عادت فسألتهم:

من منكم يريد أن يرد عليه الرسول ﷺ ويشرب من
يده شربة لا يظمأ بعدها أبدًا.

فشرعوا جميعهم يقولون: اللهم صل على سيدنا
محمد وعلى آل سيدنا محمد.. كما صليت على سيدنا
إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.. وبارك على
سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد.. كما باركت على
سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم إنك حميد مجيد.
تابعوا بعدها التسييح والتكبير والتهليل.. ثم انفضَّ
كلُّ إلى عمله.. فمنهم من تابع مذاكرة دروسه.. ومنهم
من عاد إلى مكعباته يعيد بناءها.

فقلت لها: كيف فعلت ذلك؟

قالت: أبنائي يحبون جلوسي بينهم ويفرحون عندما
أجمعهم وأجلس وسطهم فأحببت استغلال ذلك بأن
أعلمهم وأعوّدهم على ذكر الله.

فأحببت أن أنقل لهم هذه الأحاديث، وأعلمها لهم
بطريقة يمكن لعقلهم الصغير أن يفهمها.. فهم يرون

في بيتها، وأتت طفلتها إلينا، لم تكمل الطفلة عامها
الثالث.. تتلعثم بالحروف.. ووقفت خلف أمها تشد
فستانها قائلة: أمي لم نبن قصرًا في الجنة!
اعتقدت أنني سمعتها بالخطأ.

إلا أن الفتاة كررتُها.. ثم وقف إخوتها إلى جانبها
وأخذوا يرددون ما قالته أختهم الصغيرة.

رأت الأم الفضول في عيني فابتسمت، وقالت
لي: أتحيين أن تشاهدي كيف بنى قصرًا في الجنة أنا
وأبنائي؟

فوقفتُ أراقب ما سيفعلونه.

القصور في برامج الأطفال ويتمنون أن يسكنوها..
ويشاهدون أبطال الكرتون وهم يتصارعون للحصول
على الكنز.

هذه الأم ستثاب عندما يردد أحد أبنائها هذه الأذكار
حتى بعد مماتها.. وكأنها صدقة جارية.. وهي أفضل
استثمار لها في الدنيا والآخرة. فما يجب على الأبوين
هو أن ينقشا في أرواح أبنائهما هذه النقوش في موعدها
وعلى نحو لا يندثر أو ينمحي.

إن كل من يعول طفلاً، عليه أن يخصص جزءاً من
حياته اليومية لتربية طفله وتعليمه.

إن الأسرة هي أول محضن وأول مدرسة في
التربية والتعليم، فعلى الأبوين أن يرحجا الوقت الذي
يخصصانه لتربية طفلهما وتعليمه على أورادهما
وأذكارهما ووظائفهما الشخصية.. فتربية الطفل تفضل
العديد من الوظائف الشخصية، بل إن تعريف الطفل
بالله، وغرس فكرة الإيمان في قلبه حسب عمره ومستوى
ثقافته، يفضل الفيوضات المادية والمعنوية.. ولذلك
فإذا ما سافرتم لزيارة بيت الله الحرام، وأهمتم أطفالكم
وتركتموهم في البيت للعاسة والشقاء، فستنادي عليكم
الوظيفة من خلفكم قائلة لكم: إلى أين أنتم ذاهبون
وتركون الوظيفة الأهم والأشرف في حياتكم؟!

ويجب على الأب أن يعلم طفله الدين والتدين
والقراءة والكتابة وتلاوة القرآن، حتى السباحة والرمية
وركوب الخيل، كما عليه أن يعلمه كل الرياضات المهمة
في مجالها، لا التي تقوي من ساعديه وعضلاته فقط،
بل النافعة لصحته وحياته، والتي يعمر بها مستقبله.

قال ﷺ: "علموا أبناءكم السباحة والرمية، ونعم لهؤ
المؤمنة في بيتها المغزل".

وإذا دققنا النظر في هذا الحديث وما شابهه من
أحاديث فس نجد أن القصد هو:

- أن نعلمهم الأشياء المفيدة في الحياة.
- أن نبرمجهم على العمل والإنتاج من الصغر.
- أن ننشئ مجتمعاً منتجاً لا مستهلكاً فقط.
- أن نحجب إليهم اللهو النافع بدلاً من اللهو الذي
لا نفع منه.
- أن نحجب إليهم المهنة.

- أن نفتح الطريق أمامهم لإفادة المجتمع.

- أن نفتح آفاقهم أمام التميز والإبداع.

وأفضل طرائق التعليم هي المشاهدة، وأنجح
وسائل التربية هي المعيشة، وأكثر الأساليب تأثيراً هو
التطبيق.. يعني لو أردنا أن نقيس مدى الفرق في التأثير
بين النظري والتطبيقي فلنأخذ المثالين التاليين:

طفل يخضع لدرس شفهي لمدة ساعة كاملة ويُشرح
له فيه أهمية الصدق وجمال الصدق وفضل الصدق وهو
يرى أبويه كاذبين في معاملتهما دائماً.

وطفل آخر يرى أبويه صادقين دائماً ولم يتلقى أي
نصيحة أو موعظة أو توجيه حول أهمية الصدق أو فضائله.

ستجد أن النموذج الثاني الذي تلقى الصدق بالتطبيق
والمشاهدة والمعيشة، أكثر التزاماً بالصدق من النموذج
الأول الذي لم تتجاوز معرفته بالصدق حدود النظرية.

إذن، فإن الطفل ستكون أفعاله كأفعال أبويه، ومهما
نصحاه بفضائل الأعمال ومكارم الأخلاق ولم يتحلوا
بها، فلن يتحلى ابنهم بها طالما لم يجدها مجسدة أمامه.

يُحكى أن عائلة مكوّنة من زوج وزوجة وطفل في
السابعة من عمره، ويعيش معهم في ذات البيت أبو الزوج

الذي هو بطبيعة الحال جد للطفل، وكان هذا الجد عجوزاً
قد أكل المرض قوته وأفعله في الفراش، لا يستطيع أن

يخدم نفسه ولا أن يقضي حاجته بنفسه، وكان ابنه وزوجة
ابنه يتعاونان في خدمته ويساعدانه في قضاء حاجته

وتنظيف نفسه على مرأى ومسمع من هذا الطفل الصغير.
ومع مرور الأيام ضاقت الزوجة ذرعاً من والد

زوجها، وصارت تطلب من زوجها التخلص من أعباء
خدمة أبيه، وأن يتخلى الابن عن أبيه ويتفرغ للاستمتاع

بأيامه وشبابه وسهراته ووقته.. ومع أن الزوج لم
يُصغ إليها في البداية، إلا أنها لم تتوقف عن اختلاق

المشكلات والتأفف من خدمة أبيه، إلى أن جاءت له
بحل نال إعجابه وحاز على موافقته.

الحل هو أن يأخذ الزوج أباه إلى دار العجزة، فهناك
هم سيهتمون بالعجزة وكبار السن إلى أن يموتوا.

وفعلاً بدأ الرجل بتنفيذ الخطة التي اتفق عليها مع
زوجته، وحمل أباه وهو مضطجع على فراشه لا يستطيع

أن يتكلم أو يتحرك، حمله بفراشه ولحافه ووسادته،

وذهب به إلى دار العجزة والمستين، وقد رافقه في هذه الرحلة طفله الصغير الذي يرى ويراقب ما يحدث.

وبعد أن أوصل الرجل أباه إلى مكانه المخصص في دار العجزة وأراد أن يتركه ويعود، استوقفه ابنه قائلاً له: يا أبت لقد نسيت الفراش والغطاء والوسادة مع جدي، ويجب علينا أن نأخذهم ونعود بهم معنا إلى البيت.. فقال الأب لابنه: لا مشكلة، لترك لجديك فراشه، ولا يليق بنا أن نأخذهم منه.. لكن الابن كرر الطلب مرة أخرى وألح على أبيه؛ مما جعل الأب يسأل طفله: ولماذا نأخذهم يا بني؟ وماذا نفعل بهم؟ لدينا أغذية وفرش ووسائد أخرى.

فرد الابن على أبيه بكل براءة قائلاً: "عندما أكبر يا أبت وأصبح مسؤولاً عن زوجة وأبناء، وستكون أنت عجوزاً مريضاً على حافة القبر، سأتي بك إلى هذه الدار تمامًا كما تفعل أنت بأبيك الآن، وأريد أن أخذ الفراش من جدي الآن حتى أحملك به ذاته كما حملت أنت أباك". وهنا أسقط بيد الأب وفهم ما يجب عليه أن يفهمه، وعاد بأبيه إلى بيته، وأدب زوجته ولم يعد يصغي إليها.

ثقافة الاختلاف

لا يخلو بيت من البيوت من الخلافات والمشاكل على اختلاف أنواعها وأسبابها وأشكالها، وعلى الزوجين أن يحللاً مشاكلهما الخاصة خلف أسوار غرفة الزوجية ودونما أن يُشعرا أولادهما بالأزمات وحجمها وآثارها الثقيلة. ولكن هذا لا يعني ألا يرى الأبناء أي نوع من أنواع الخلاف أو الاختلاف بين الأبوين، فلا مانع من أن يُري الأبناء خلافهما الطبيعي والمعقول والمنطقي لأولادهما ليتعلم الأولاد من خلال ذلك "ثقافة الاختلاف الراقية".

لا مانع من إظهار الخلاف الراقي ولير الأولاد كيف تُدار النقاشات البناء بعيداً عن الصراخ ورفع الصوت والشتيمة والعنف والضرب.

من حقهم علينا أن نعلمهم فن إدارة الأزمات، ومن الجيد إدارة الأزمة أمامهم كما هي إدارة منطقية وعقلانية وبعيدة عن ذم أحد الطرفين للآخر، أو رفضه أو محاولة تكذيبه أو إحراجه أو إيقاعه في فخ الخطأ.

ليشاهد الأولاد أباهم أو أمهم وهي تدير الأزمة والخلاف والنقاش، وليتعلموا أسس التواصل الصحيحة وقنوات الإدارة البناءة وسبل الحلول الإيجابية.

أثر خلافات الزوجين على سلوكيات الأبناء

أثر خلافات الزوجين على سلوكيات الأبناء وصحتهم النفسية أمر مهم للغاية. لكن إذا كانت الخلافات تُدار بطريقة سلبية ويتخللها العنف، فهذه كارثة كبرى وستسبب بعقد نفسية في داخل الطفل.

لا ينبغي لنا أن نسمح لأعين أطفالنا أن ترى مشهد الضرب والعنف بين أبويهما، ولا أن يبقى في ذاكرتهما شيء من التكذيب والصراخ والشتائم بين الأبوين.

لا يمكن وصف كمية الرعب والخوف التي تبقى في داخل الطفل وهو يعيش في ذلك الواقع السلبي، إنه يعيش حالة هلع دائمة متجددة، ومع ظهور أي نوع من أنواع الخلاف بين أبويه يزداد الهلع والخوف لديه من فقدان أحدهما ويهجم في داخله: هل يمكن أن أخسر أبي؟ هل يمكن أن أخسر أمي؟ كيف سينتهي هذا الخلاف بين أبوي؟ هل سيضربها؟ هل ستشتمه؟

الأطفال لا ينسون وستذكرون ويتسبب الخلاف السيئ الذي يُدار بطريقة سلبية بعقدة نفسية لهم.

من غير الصحيح ومن غير الصحي والمنطقي تحدث أحد الزوجين عن الآخر بطريقة سلبية، بل علينا أن نعلمهم احترام الآخر مهما اختلفنا معه.

والخطأ الأكبر أن نجعل الأولاد طرفاً في الضغط، أو جزءاً من الخلاف، ومحاولة أحد الزوجين استمالتهم إلى صفه ليضغط بهم على الآخر.

وأخيراً يجب علينا كأباء وأمّهات أن نعلم الأولاد أن العمود الفقري للعلاقة بين الشريكين هي "الاحترام المتبادل"، فهذه ليست رحلة مؤلفة من ساعات أو أيام أو أشهر، وليست شركة تُمضى فيها العقود لمدة سنة أو سنتين أو ثلاثة أو خمسة، وإنما هي "رحلة عُمر". ■

(*) كاتب وباحث سوري.

وكبا الذي قد غرّ بالأفراح

يَا وَيْحَ مَقْدِمِنَا أَتَى بِنُوحٍ
أَبْنَاءُ آدَمَ لَمْ يَكُونُوا جَوْقَةً
شَتَّى مِنَ الْأَشْكَالِ يُعْرِفُ جَمْعُهُمْ
يَتَنَافَرُونَ إِلَى الْمَمَاتِ تَقْوُدُهُمْ
إِنْ جَاءَ جَمْعٌ مِنْهُمْ بِحَقِيقَةٍ
ضَمِنَ الْكَرِيمُ لِكُلِّ فَرْدٍ مَنْزِلًا
وَأَشَارَ أَلَّا تَحْزُنُوا لِمُصِيبَةٍ
وَكَذَا الْحَيَاةَ مَرَاحِلَ مَكْرُورَةً
سَكَنُوا الْوَهَادَ بِمَا يُتَّخَذُ لَهُمْ بِمَا
خَرَجُوا إِلَى الدُّنْيَا وَكَانَتْ صُلْبَةً
فَأَتَتْ إِلَيْهِمْ وَرْدَةٌ مَحْفُوفَةٌ
فَنَجَا الَّذِي قَدْ عَاشَ عَيْشَةً ذَاهِبٍ
فَهَلِ الْخُرُوجُ يَكُونُ شِبْهَ صُدَاحٍ؟
تُغْرِي الْجَمِيعَ بَرِقَّةً وَمِزَاحٍ
وَهُمْ كَمَا الْأَمْزَاجِ فِي الْأَقْدَاحِ
حَمَمُ الْهَوَى وَمَنَازِلُ الْأَرْوَاحِ
رَدُّوهُ إِخْوَتُهُ بِكُلِّ وَقَاحِ
وَأَضَاءَ دَرْبِ السَّعْيِ صَوَّبَ كِفَاحِ
فَاللَّيْلُ عُقْبَاهُ إِلَى الْإِصْبَاحِ
لَا تَسْتَبِدُّ بِهَا دُنَا الْأَتْرَاحِ
وَاسْتَيَأَسُوا مِنْ مَائِهَا النَّضَّاحِ
فَاسْتَسَهَلُوا أَصْلَابَهَا بِنَجَاحِ
بِمَكَارِهِ، وَمَفَاتِنِ، وَجِرَاحِ
وَكَبَا الَّذِي قَدْ غُرَّ بِالْأَفْرَاحِ

(*) شاعر وعضو اتحاد الكتاب / مصر.

عيون السحلية نظام بصري متعدد البؤر

أجل، إن أقدام السحلية ليست الطرف الوحيد الذي ألهم العلماء، بل عيونها أيضًا؛ إذ اكتشفوا أن السحلية تمتلك عيونًا ذات بُقَع متعددة المواقع، تمكنها من رؤية الألوان في الليل بكل سهولة، الأمر الذي دفعهم إلى تطوير أنظمة بصرية متعددة البؤر.

إن قوة انكسار هذه المواقع المتعددة في عيون السحلية، تعمل كنظام بصري متعدد البؤر؛ لتوفر الضوء بموجاته المختلفة لشبكية العين في آن واحد.

هذه الميزة تجعل عيون السحلية أكثر حساسية بـ ٣٥٠ مرة من البشر، وبالتالي تمكنها من رؤية واضحة للأشياء الموجودة على مسافات مختلفة في محيطها. مع هذا الاكتشاف وبمحاكاة عيون السحلية هذه، بدأ المهندسون والمصممون يعملون على تطوير كاميرات أكثر فاعلية، وعدسات لاصقة متعددة البؤر. ما رأيك، هل سينجحون؟

(*) كاتب وباحث تركي.

لا شك أن للطبيعة دورًا كبيرًا في الاكتشافات الإنسانية والتطورات العلمية والصناعية في حياة البشر. منذ أن خلق الإنسان وهو يسعى إلى محاكاة الطبيعة؛ ليحل مشاكله، ويلبي متطلبات حياته.

إن كل اكتشاف أو ابتكار قام به الإنسان، أدى إلى المزيد من الفهم والقدرة على التقاط الإلهامات من الطبيعة. أجل، إن القيام بمحاكاة الطبيعة انعكس على كل ما يحيط بنا من إنجازات؛ ابتداءً من صناعة طائرات الهليكوبتر المستوحاة من حشرة اليعسوب، إلى مطرقة الخرسانة المستوحاة من نقار الشجر، إلى تقنية الرادار المستوحاة من طائر الخفاش. إن معظم ما يعجب به واقننا الآن، هو ثمرة من ثمار محاكاة الطبيعة، وما زالت الطبيعة بكل عناصرها، هي منبع ابتكارات الإنسان وأساس اكتشافاته. وها هي السحلية التي صارت مصدر إلهام لتصميم كاميرات أكثر فاعلية وعدسات لاصقة متعددة البؤر.



مجلة علمية ثقافية أدبية
www.hiragate.com

مجلة علمية ثقافية أدبية
تصدر كل شهرين عن دار الانبعاث
للنشر والتوزيع

رئيس التحرير
صابر المشرفي

مدير التحرير
إسماعيل قايار

الإخراج الفني
أحمد شحاته

مسؤول التوزيع
علاء الكواري
+201000780841

نوع النشر
مجلة دورية تصدر كل شهرين

الطباعة
دار الجمهورية للصحافة

رقم الإيداع
٢٤٢٦١

ISSN 2357-0229-88

المنحى العام

- حراء مجلة علمية ثقافية أدبية تعنى بقراءة الكون والإنسان والحياة من منظور قرآني حضاري إنساني.
- تهدف إلى بناء الإنسان المتوازن علمياً وفكرياً وسلوكياً.
- تسعى إلى أن تكون إضافة نوعية مفيدة في الساحة الثقافية شكلاً ومضموناً.
- مجلة حراء ملتقى للفكر الإيجابي الحضاري البناء.
- تنطلق من رؤية حضارية تستمد طاقتها من ثراء الخبرة التاريخية للأمة الإسلامية والأسرة الإنسانية لمعالجة قضايا الواقع واستشراف آفاق المستقبل.
- تسعى إلى معالجة المعارف الإنسانية من منظور تألّفي بين العقل والقلب، والعلم والإيمان، والفرد والمجتمع، والروح والمادة، والنظري والتطبيقي، والمحلي والعالمي، والأصالة والمعاصرة.
- تحرص على الصحة في المعلومة، والإيجابية في الطرح، والعمق في التحليل، والإثارة في الكتابة، والحرية في التعبير مع احترام المقدسات والخصوصيات، والالتزام بالمبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية المشتركة، والإنصات إلى الآخر، والانفتاح على الحكمة الإنسانية حيثما كانت، والحوار البناء الذي يخدم الإنسان ويفيده؛ كما تحرص على الابتعاد عن الإقصاء والاستفزاز والإساءة والعنف والتطرف والسطحية والسلبية فيما تنشر.
- تهدف إلى الجمع بين عمق الفكرة، وجمالية الصياغة، وبساطة العبارة، ووضوح المعنى في أسلوب الكتابة.

معايير النشر

- أن تكون المادة المرسله جديدة لم يسبق نشرها.
 - ألا تتجاوز عدد الكلمات ٢٠٠٠ كلمة. وهيئة التحرير لها الحق في التصرف تلخيصاً واختصاراً.
 - المادة المرسله تخضع لتحكيم لجنة علمية استشارية، وهيئة التحرير أن تطلب من الكاتب إجراء تعديلات على المادة قبل إجازتها للنشر.
 - المجلة تحتفظ بحقوقها في نشر النصوص وفق خطة التحرير وطبقاً للتوقيت الذي تراه مناسباً.
 - للمجلة الحق في أن تكتفي بنشر المادة المرسله إليها في موقعها على الإنترنت دون استئذان كاتبها ما لم يؤكد الكاتب أثناء الإرسال رغبته في النشر في المجلة الورقية حصراً. علماً بأن ما ينشر إلكترونياً لا يترتب عليه أي مكافأة مالية.
 - المجلة تلتزم بإبلاغ الكتاب بقبول النشر، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.
 - للمجلة حق إعادة نشر المادة منفصلة أو ضمن مجموعة من المقالات بلغتها الأصلية أو مترجمة إلى لغة أخرى دون استئذان صاحب المادة.
 - المقالات المنشورة في مجلة حراء تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
 - مجلة حراء لا تمنع في النقل أو الاقتباس عنها شريطة ذكر المصدر.
 - مجلة حراء ترجو كتابها الأكارم أن يرسلوا مع المادة نبذة مختصرة عن سيرتهم الذاتية مع صورة واضحة لهم.
- ترسل جميع المشاركات إلى البريد الآتي: hiragate@yahoo.com



EGYPT

٢٢ ج جنوب الأكاديمية، التجمع الخامس، القاهرة الجديدة، القاهرة.
اشترك وتوزيع هاتف: +201000780841
hiragate@yahoo.com

NIGERIA

Nusret Educational And Cultural Co. Ltd.
Aguiyi Ironsi St. No: 77/B Maitama - Abuja
Phone: +2349030222525
hiragate@yahoo.com

IRAQ

Kani Irfan Publishing English Village N°9 / Erbil
Phone: +964 750 713 8000
hiragate@yahoo.com

USA

Tughra Books
345 Clifton Ave., Clifton, NJ 07011, USA
Phone: +1 732 868 0210
Fax: +1 732 868 0211
hiragate@yahoo.com

للتواصل مع إدارة المجلة | hiragate@yahoo.com

+2 01000780841

- هل للأديان دور في صناعة الإرهاب أم إنها ضحية؟
- كيف يمكن أن يكون الإعلام فاعلاً إيجابياً ضد العنف؟
- ما الثغرات الفكرية التي ينفذ منها الإرهاب؟ وكيف يمكن التصدي لها؟



مركز التوزيع: دار الانبعاث | daralinbiath@gmail.com

00201023201002

www.souq.com

مكتبة الشروق | Shorouk Bookstores | مكتبة فكرة ستي ستارز



شهوة المال

وراءَ المالِ تلهثُ في جنونٍ كـ"قارونٍ" تُكَدِّسُ في فُتونِ
وعندَ القبرِ يَبلى كلُّ جاهٍ ستمحو زهوَهُ أيدي المَنونِ
وتنظرُ من فراغٍ في فراغٍ وتزحلُّ من شجونٍ في شجونِ

